

(إياكم والغلو في الدين)

أُضْرَحَتِ الْأَوْلِيَاءُ فِي مِيزَانِ الْإِسْلَامِ

تأليف

أسامة بدوي

«مَنْ لَمْ يَسْمَعْ الْخِلَافَ فَلَا تَعُدُّهُ عَالِمًا»

حقوق الطبع والنشر

محفوظة للمؤلف

(الطبعة الثانية)

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ٥٦٢٩ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي: ٨ - ٠٤٨ - ٧٤٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مكتبة البلد الأمين:

تليفون: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

•• مراكز التوزيع:

مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤

دار سطون: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢ - ٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

• قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفُ فِي الدِّينِ }.

أخرجه النسائي، ح (٣٠٥٧)، وابن ماجه، ح (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح (٢٦٨٠).

• قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةُ يَاسُورَ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتُهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٣٥﴾ [التوبة].

• قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ }، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: { فَمَنْ }.

البخاري، ح (٧٣٢٠)، ومسلم، ح (١٥٨١).

• عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: { إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ }، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفْنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبَحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: { لَا، هُوَ حَرَامٌ }، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: { قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنْ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوه، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ }.

البخاري، ح (٢٢٣٦)، ومسلم، ح (١٥٨١).

وقصة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: « والله يعلم أننا لم نقصد بيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة، والغيرة عليها من الدخَل، وما علينا من القائل والفاعل، وإنما تؤدَّى بذلك أمانة العلم، وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه، قصدًا لبيان الحق لا لإظهار عيب الغالط.. لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى أشخاص، واعلم أن من نظر إلى تعظيم شخص، ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه، فادعى فيه الألوهية، ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يُعطيه إلا ما يستحقه »

(تلبس إبليس)، ص (٢١٩، ٢٢٠).



- ويقول العزُّ بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ: « أوجب الله على العلماء إعزاز الدين، وإذلال المبتدعين، فسلح العالم علمه، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إغماذ أسلحتهم عن الملحدِين المشركين، لا يجوز للعلماء إغماذ أسلحتهم عن الزائغين والمبتدعين، فمن ناضل عن الله، وأظهر دين الله كان جديرًا أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام، ويُعزِّه بعز الله الذي لا يُضام ».
- (الملحة في اعتقاد أهل الحق) لسلطان العلماء العز بن عبد السلام.
- ص: (١١١).

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العزة والسيادة في التميُّز بالإيمان والعبادة،
وأشهد أن لا إله إلا الله، المتفرد بالكمال والجلال والسيادة، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله، المتفرد بالرسالة الخاتمة، وبالصحبة المتميزة،
والريادة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد:

فقد اختلط الحابل بالنابل، وذابت الفوارق وزالت، فلم يعد الناس
يعرفون الفارق بين الكفار والمسلمين، والمنافقين والمؤمنين، والمبتدعين
والمتبعين، وأصحاب الهوى وأصحاب الهدى، زالت الفوارق بين كثير
من المسلمين وغيرهم، وصار التشبه ديدَنهم ودينهم، فكيف تُميَّز إذن
بين الطيب والخبيث - وقد كثر الخبيث وزاد -، والأمين والخائن،
والمخلص والمرائي، والصادق والكاذب، وبين من يريد الدنيا ومن يريد
الآخرة في زمن العوْلة، وتقارب الزمان والمكان؟!.

سيظل أصحاب الحق قلة متميزة بالحق، ظاهرة به، لا يضرهم من
خذلهم، ولا من خالفهم، تعرفُهم بالحق، فيه يعرفون، ومنه ينهلون.
تواتر الحق فيهم جيلاً بعد جيل، إيمانٌ بلا تبديل، وإسلامٌ بلا تغيير.
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ

مَنْ يَنْظُرْ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٣﴾ ﴿[الأحزاب].

فاجتمع الإيثار والرضا من الرحمن، واكتمل الصدق بعدم التبديل، وحسن الاتّباع للسابقين الأولين.

• شُرُوط السلامة والنجاة: الإيثار بالاتّباع، الاتّصاف بالصدق، عدم التبديل (للعقائد، أو العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، أو الحدود، أو الشرائع، أو الأحكام)، حُبُّ الشهادة في سبيل الله.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ مَذَلَّةَ التَّبَعِيَّةِ بِالْعِزَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ سُوءَ الْأَخْلَاقِ بِالْقُدْوَةِ الْحَسَنَةِ.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ التَّوِيلَ بِالْإِدْلِيلِ.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ الْأَهْوَاءَ وَالْأَوْهَامَ بِاتِّبَاعِ الشَّرْعِ.

لا يحتويهم إلا الوحي، فلا شرقية، ولا غربية، ولا اشتراكية، ولا رأسمالية، وحدثهم قبلتهم، غايتهم الجنة، وطريقهم إليها صراطُ الله المستقيم، وفي أوله محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين. هُمْ فِي مِيدَانِ سَبَاقٍ وَتَنَافُسٍ:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة].

توارثوا حُبَّ الصراط المستقيم والثبات على الحق، والتمسك بالإيمان، وعدم المساومة على الإسلام جيلاً بعد جيل، يُسَلِّمُونَهُ كَمَا

هو، دون تبديل أو تغيير، وصدق الله تعالى حيث يقول:

﴿وَالسَّافُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

وكيف لا، والله سبحانه جعل المخرج من الفتنة (فتنة الاختلاف والافتراق على الفرق والجماعات والأحزاب) في اتباع سبيل المؤمنين، وجعل الشّات والتشرذم ونار جهنم في اتباع غير سبيلهم.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَ تَمَكُّيًّا﴾ [النساء].
وقال صلى الله عليه وسلم: {من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد} (١)،
وقال: {فعليناكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي} (٢).

(١) أخرجه مسلم: ك: الأفضية، ب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٧١٤٤)، وأبو داود: ك: السّنة، ب: في لزوم السّنة، ح (٤٦٠٧)، والترمذي: ك: العلم، ب: ما جاء في الأخذ بالسّنة واجتناب البدع، ح (٢٦٧٦)، وابن ماجه: ك: المقدمة، ب: اتباع سّنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح (٤٢)، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع»، ح (٢٥٤٩).

وقد افترق الناس في هذا الزمان على حلّ الأزمة الراهنة، والمشكلة القائمة فمن قائل: نسير وراء الغرب لكي نتقدم كما تقدموا، وفريق آخر يقول: نُخالف الغرب لكي لا تذوب هويّتنا ونكونَ قطعة منه، وثالث يقول: نُداهن ونُسائر لكي تسير أمورنا، ونتجنّب بطشتهم ونقمتهم، ورابعٌ يقول: الإنسانيّة والعلمانيّة، وخامسٌ يقول: الليبراليّة لا رجعيّة ولا أصوليّة، وسادسٌ يقول: فصل الدّين عن النظام، وعزل الدّين عن الدولة المدنيّة، وسابعٌ يقول: نعيش ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وثامنٌ يقول: نخشى أن تصيّنّا دائرة، وتاسعٌ يقول: نحن على مذهب: « أن للبيت ربّاً يحميه»، وعاشرٌ: يلعب ويلهو وما يدري من هو، ولا إلى أين يسير، مبدؤه وعقيدته: « دَعُ ما لقيصرَ لقيصرَ، وما لله لله ».

- والحقُّ لا شكَّ واحدٌ بين هؤلاء، والبقية على خطأ وسوء قصد.
- والحقُّ ما وافق مرادَ الحقِّ عزَّ وجلَّ، فمن اتَّبَعَ هُداة فلا يَضِلُّ ولا يشقى، والحقُّ ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدك؛ لأن مصدر الخلق والعلم واحد. قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

• وَالْحَقُّ مَا لَا عَمَّ مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ، وَجَلَبَ لَهُ مَنَافِعَهُ، وَلَا يَفْرَضُ عَلَيْهِ مَا هُوَ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَوُسْعِهِ.

• وَالْحَقُّ لَا يَتَجَزَّأُ وَلَا يَتَغَيَّرُ بِالْأَهْوَاءِ أَوْ الْمَكَانِ أَوْ الزَّمَانِ، وَهَذَا مِنْ أَجْلِ سِمَاتِهِ وَأَظْهَرَ صِفَاتِهِ وَعِلَامَاتِهِ.

• وَالْحَقُّ ثَابِتٌ كَرُسُوحِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ، لَهُ هَيْبَةٌ وَجَلَالٌ وَقُدْسِيَّةٌ يَسْتَمِدُّهَا مِنَ الْحَقِّ عَزَّوَجَلَّ، يَهَابُهُ الْبَاطِلُ، وَيَعْمَلُ لَهُ أَلْفُ حِسَابٍ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ ضَعِيفًا أَوْ ضَيِّلًا أَوْ قَلِيلًا.

• وَالْحَقُّ لَا يَحْتَكِرُهُ أَحَدٌ، وَلَا يَخْضَعُ لْجِنْسٍ مَعَيَّنٍ أَوْ لَوْنٍ مُّحَدَّدٍ، أَوْ قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ، وَلَكِنَّهُ أَهْلٌ لِأَصْحَابِهِ وَالْمُتَسَبِّبِينَ إِلَيْهِ فَقَطْ.

• وَالْحَقُّ مَنْ يَلْزِمُهُ تَحَلُّدُ ذِكْرِهِ، وَيَحْسُنُ مَثْوَاهُ، وَيَطِيبُ عَيْشُهُ، وَتَلْزِمُهُ الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ، وَالسَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ.

• لِذَلِكَ أَرَدْتُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَنْ أَجْمَعَ الْعِلَلَ وَالْأَمْرَاضَ الَّتِي حَلَّتْ بِأَمَةِ الْإِسْلَامِ، لَمَّا اسْتَبَدَلَتِ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، وَالْهَوَىٰ بِالْوَحْيِ، وَالتَّبَعِيَّةَ بِالْعِزَّةِ، وَأَصْفُ الدَّوَاءِ الشَّافِي الْكَافِي بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَجَمَعْتُ حَوَالِي مِائَةِ مَسْأَلَةٍ اسْتَبْدِلَ بِهَا غَيْرُهَا، وَلَبَّسَهَا الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ [سبأ].

• وأردتُ بيان الغلوِّ في الدِّين هل عند السلفيِّين أو المتصوِّفين، في مسألة قبور الأولياء وأضرحِ حَتِّها التي بالمساجد، وحكم الدعاء عندهم، أو سؤالها، وهل لها علاقة بشرك الدعاء الوارد في الكتاب والسُّنة ؟
والله أسأل أن نعود مع أمتنا إلى ديننا وهُدًى ربِّنا عَزَّجَلَّ، لتعود لنا عزَّتُنا وكرامتنا وريادتنا ومجدنا وعُلُوُّنا وخيريتُنا، إنه سبحانه ولي ذلك، وهو على كلِّ شيء قدير.

وكتب:

أسامة بن محمد بدوي البراجة

«في التاسع من شهر صفر لعام ثمانٍ وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة سيد الأولين والآخرين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

☆☆☆

البداية:

• كانت البداية مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، فلم يتركه لجهله يتخبط، ولم يُسلمه لعقله أو هواه فيضلّ ويشقى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨] ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه]

• ثم كان حسنُ الختام مع النبي الخاتم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان أولُ الرسالة ليس أمرًا بالعقيدة أو العبادة أو الحلال والحرام، إنما كان أولُ آية نزلت في الدين الخاتم تقول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق]، الأمر بالقراءة، والقراءة باسم ربك، والقراءة لتحقيق الغاية من الخلق، والتعلم عن طريق القلم.

والقراءة هي أول الطريق للعلم، وهي روضته وجنته الفيحاء، وبالقراءة يؤكّد المرء من جديد، ويتنفي عنه الجهل بالتدريج.

والقراءة هي سلاح الفهم، ونور العلم خصوصًا إذا وُجّهت لنفع الإنسان، وخضعت لوحي الرحمن عزَّ وجلَّ.

والقراءة هي الأداة الموصلة إلى العلوم الشرعيّة، ولا بُدَّ فيها من التلقّي

لوحدة الفهم لمراد الله تعالى المتمثل في تعاليم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن].

جُعِلَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ مَحْصُورًا بين: علم القرآن والبيان. فكأنَّ الإنسان إذا أراد أن ينال رحمة الله تعالى، ويرتقي في علوم البيان فلا بُدَّ له من إخضاعها للغاية من الخلق، ولتعاليم القرآن.

• إذن فالغاية من الخلق:

١- أن يكون خليفة في الأرض، خاضعاً لمن استخلفه فيها، وخلقَه بيديه، ونفخ فيه من رُوحه عَزَّوَجَلَّ.

٢- وأن يتحمل الأمانة التي حُمِّلَهَا وناءت بحملها السماوات والأرض والجلال، فيقوم عليها ويؤدِّيها، ميِّزه بها عن سائر المخلوقات بأن جعلَ وظيفة عقله ليست في الحصول على الشَّهَوَاتِ والمُلذَّاتِ فقط، والتمتُّع بالطعام والشراب والشَّهَوَاتِ، بل جعلها في الارتقاء بفهم آيات الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّةِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- تحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ، فهو سبحانه الخالق، والرَّازِق، والمنعم، والمُدبِّر، والحكيم، وإليه المرجع والمآل والمصير.

فالعبودية له عزَّ وشرف، وإن كانت لغيره صارت ذُلًّا ومهانة.

٤- أن يتعلّم القرآن والبيان، وتدبر آيات الله تعالى المقرّوة والمحسوسة.

٥- أن يُبتلى ليُعرف بين الخلق مَنْ هو: أحسن عملاً، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

• فمتى كانت القراءة باسم الله، ولتحقيق الغاية من خلق الإنسان

كان كرمُ الله تعالى للإنسان: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق].

• وعندما تكون قراءة الإنسان في علوم الطبيعة والأكوان خاضعة

لهذا المنهج لا تُثمر إلّا نافعاً، ولا تُخرج إلّا طيباً، كالنحلة لا تسقط إلّا

على الطيب، ولا تُخرج إلّا العسل، وهذا مثل المؤمن كما وصفه النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وعندما قرأ الغُربُ في العلوم الطبعيّة بعيداً عن منهج الله ماذا

كانت النتائج؟ أسلحة نوويّة ويُولوحيّة وكِميائيّة وجُرميّة، واستبداد

واستعباد، وقوانين طوارئ وإرهاب، وقواعد للبشريّة جديدة تُبيح

للقويّ استغلال الضعيف، حتى اقترب الناس أن يعودوا إلى ما كانت

عليه البشريّة قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اضطهاد وظلم وعبوديّة

ورق من الرومان والقياصرة والأكاسرة لشعوبهم.

كما لازم هذا التقدّم الماديّ، تقدّم في فنون الفواحش والمعاصي،

والتباهي بها والتفاخر والتبجّح، وسنّ قوانين لحماية أصحابها من

الشواذِّ والسُّفهاء.

ولقد استدارَ الزمان، وتحققت إرهاباتُ إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِاتِّبَاعِ أَتْبَاعِ مَنْ أُمَّتُهُ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنْ فَارِسٍ وَالرُّومِ، وَالْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى، وَصَدَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نُبُوءَتِهِ مِنْ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ فِتْنَامِنْ
أُمَّتِهِ بِالْمُشْرِكِينَ آخِرَ الزَّمان.

• اسْتَبْدَالَ الْكُفْرَ بِالْإِسْلَامِ «الرَّدَّة» وَهَذَا قَدْ يَكُونُ نَادِرًا فِي أُمَّةِ
الْإِسْلَامِ.

• اسْتَبْدَالَ التَّشَبُّهِ بِمَا عَلَيْهِ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ وَالضَّالُّونَ بِنُظْمِ
الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ.

• اسْتَبْدَالَ الشُّرْكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَخَاصَّةً شُرْكَ الْعِبَادَةِ وَالِدَعَاءِ الْمُنْتَشِرِ
بَيْنَ الْكَثِيرِ فِي هَذَا الزَّمان، وَصَدَقَ اللَّهُ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا
وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف].

■ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟!

قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى
نُصْرَفُونَ﴾ [يونس].

فإذا دعانا الله عَزَّوَجَلَّ إلى الحقِّ، فهل يظنُّ أحد من الناس أن تركه للحقِّ، والتماسه في غير موضعه ومحلِّه أن يكون على صواب أو هداية؟ فالاستبدال أول مراحل الضلال، والتكذيب بالحقِّ، وعدم الرضا به.

■ (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) :

فما دونَ الحقِّ هو الدُّنُوُّ والهبوط والسفليَّة والأقلُّ نفعًا، والأكثر ضررًا في الدِّين والدنيا والحياة بعد الممات.

لذلك تتحقَّق سُنَّة الاستبدال لكل أُمَّة أو مجتمع أو أسرة أو أفراد أو جماعاتٍ إن تولَّوا عن التمسُّك بالحقِّ والخير، ونصروا الباطل والشرَّ، ودافعوا عنها.

• قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ

﴿٢٨﴾ [محمد].

يعني إن تتولَّوا عن نُصرة الحق، والإنفاق في سبيل الله لمؤازرة ذلك الحق، يستبدل الله بكم، أي أنه لا يُعيركم اهتمامًا، ولا يُعتبركم أنصارًا، وتهون قيمتكم عنده، وتقلُّ هيبتكم في عيون غيركم، ولا ينظر الله إليكم، ويأتي بقوم آخرين يُحبُّهم ويُحبُّونه، أدلَّة على الحق، أعزَّة على الباطل، يُجاهدون لنصرة دين الحق وإعزازهِ وظُهورهِ، ولا يخافون لومة لائم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ

يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ [المائدة].

• يقول الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿يَكُنْ أَهْلُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ وَهَذَا شُرُوعٌ فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الْمُرتَدِّينَ بَعْدَ بَيَانِ أَنَّ مُوَالَاةَ
الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِ كُفْرٌ، وَذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الرَّدَّةِ. وَالْمُرَادُ بِالْقَوْمِ
الَّذِينَ وَعَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِثْبَانِ بِهِمْ هُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَجَيْشُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ قَاتَلَ بِهِمْ أَهْلَ الرَّدَّةِ، ثُمَّ كُلُّ مَنْ
جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ لِلْمُرتَدِّينَ فِي جَمِيعِ الزَّمَنِ» (١).

بهذه الأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء من

كونهم يحبُّون الله وهو يحبُّهم، ومن كونهم: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أي: يُظْهِرُونَ
العطفَ والحنوَّ والتواضع للمؤمنين، ويُظْهِرُونَ الشدَّةَ والغِلظةَ
والترفُّعَ على الكافرين، ويجمعون بين الجهاد في سبيل الله وعدم
خوف الملامة في الدين، بل هم متصلِّبون، لا يُبالون بما يفعله أعداء

(١) فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني (٥٩/٢).

الْحَقُّ وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ مِنَ الْإِزْدِرَاءِ بِأَهْلِ الدِّينِ، وَقَلْبٌ مُحَاسِنُهُمْ
مَسَاوِيٍّ، وَمُنَاقِبُهُمْ مَثَالِبٌ، حَسَدًا وَبُغْضًا وَكَرَاهَةً لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ.

• وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، لما فَرَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ بَيَانِ
مَنْ لَا تَحِلُّ مَوْلَاتُهُ، بَيَّنَّ مَنْ تَجِبُ مَوَالِيَتُهُمْ، وَبَيَّنَّ صِفَاتِهِمْ، إِنَّهُمْ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَهُمْ خَاشِعُونَ لَا يَتَكَبَّرُونَ، ثُمَّ وَعَدَ
سُبْحَانَهُ مَنْ يَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِأَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ لَعْدُوَّهُمْ.

• وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبُو الشَّيْخِ وَالْبَيْهَقِيُّ
فِي سُنَنِهِ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ [المائدة]. وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَرَّتْ مُرْتَدُونَ مِنَ النَّاسِ،
فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَدَّتْ عَامَّةُ الْعَرَبِ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَّا
ثَلَاثَةً مَسَاجِدَ: أَهْلَ الْمَدِينَةِ، وَأَهْلَ مَكَّةَ، وَأَهْلَ الْجَوَاثِمِ عَبْدَ الْقَيْسِ،
وَقَالَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا: نُصَلِّي الصَّلَاةَ وَلَا نُزَكِّي وَاللَّهُ لَا تُغْصَبُ أَمْوَالُنَا،
فَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فِي ذَلِكَ لِيَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَوْ قَدْ فَقَهُوا أَدُّوا
الزَّكَاةَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَفَرِّقُ بَيْنَ شَيْءٍ جَمَعَهُ اللَّهُ وَلَوْ مَنَعُونِي عَقْلًا بِمَا
فَرَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَصَائِبَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ
فَقَاتَلُوا حَتَّى أَقْرُوا بِالْمَاعُونِ وَهُوَ الزَّكَاةُ.

قَالَ قَتَادَةُ: فَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ زَلَّتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (١).

- ﴿أَعَزُّ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إِبَاءٌ وَاسْتِعْلَاءٌ، عَزَّةُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ،
وَالِاسْتِعْلَاءُ لِلْحَقِّ، إِنَّهَا الثِّقَةُ بِغَلْبَةِ دِينِ اللَّهِ عَلَى دِينِ الْهَوَى، وَبِغَلْبَةِ قُوَّةِ
اللَّهِ عَلَى تِلْكَ الْقُوَى، فَهُمْ الْأَعْلَوْنَ: ﴿بِجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ
لَا إِلَهٍ﴾. يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِتَحْقِيقِ مَنَهِجِ اللَّهِ، وَإِقَامَةِ الدِّينِ.
• إِنَّهَا سُنَّةُ الْاسْتِبْدَالِ، وَالِاسْتِبْدَالُ وَضْعُ الشَّيْءِ مَوْضِعَ الْآخَرِ.

قال الشوكاني في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ
قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] «مَعْطُوفَةٌ عَلَى الشَّرْطِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَهِيَ
﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾، وَالْمَعْنَى: وَإِنْ تُعْرِضُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى يَسْتَبْدِلْ
قَوْمًا آخَرِينَ يَكُونُونَ مَكَانَكُمْ هُمْ أَطْوَعُ لِلَّهِ مِنْكُمْ﴾ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
أَمْثَلَكُمْ ﴿فِي التَّوَلَّى عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى﴾ (٢).

- لذلك كانت أهمُّ صفةٍ للجماعة المؤمنة التي ثبتت مع النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَصَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى نَصْرًا مُؤَزَّرًا فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ

(١) تفسير فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٦٠).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٥١).

أنهم لم يُبدّلوا، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا أَبَدِيًّا﴾ ﴿١٣٢﴾ [الأحزاب].

• **والجزء من جنس العمل:** فهم عندما لم يبدّلوا كلام الله ولا كلام رسوله، لم يستبدلهم الله عزَّ وجلَّ، بل رضي عنهم، وأعدَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار، وفصلهم على سائر خلقه بعد الرُّسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١١٠﴾ [التوبة].

• **والجزء من جنس العمل:** فمن بدّل دين الله أو شيئاً منه، أو استبدل النفاق والكفر بالإسلام، والخوف والهلع بالثبات، والركون للدنيا بالجهاد، أو استبدل ما في يده بما عند الله ﴿وَمَاعِنَدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾، من يفعل هذا فقد حقّت عليه سُنة الاستبدال.

• **والجزء من جنس العمل:** سُنة من سُنن الله تعالى، قال تعالى:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الحديث: { أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ

مِنْهُمْ} (١). وفي الحديث: { أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ } (٢).

فهنيئاً لمن ثَبَتَ على الإيمان الصحيح ولرُبَّال، ورحِمَ الله مَنْ قال: (لا تُعْجَبْ مَنْ ضَعُفَ كَيْفَ ضَعُفَ، وَلَكِنْ اعْجَبْ مَنْ ثَبَتَ كَيْفَ ثَبَتَ).

وَمِنْ دَعَاءِ أَهْلِ الْإِيمَانِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ

لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: { يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ } (٣).

• فالثباتُ على الدين من أعظم النعم، لأنه الطريق إلى الله تعالى الموصِل إلى جنته ورحمته، وهو طويل وشاقُّ، والمتساقطون فيه كثرة، وصاحب الحظِّ العظيم هو الذي يَثْبُت عليه حتى النهاية حتى يتوفاه الله تعالى وهو على الإيمان (حُسْنُ الخاتمة) بدون تبديل أو تعديل أو

(١) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ﴾، ح (٧٤٠٥)، ومسلم: ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: الحث على ذكر الله تعالى، ح (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، ح (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح».

(٣) أخرجه أحمد، ح (١٢١٠٧)، والترمذي: ك: القدر: ب: ما جاء أن القلوب بين أصبغى الرحمن، ح (٢١٤٠)، وقال: «حديث حسن».

تغيير: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى].

■ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل:

أنزل هذا القرآن، وأرسل هذا الرسول بالحق، وجعل الحق والخير فيهما (القرآن والسنة)، وجاءت أحكام الكتاب والسنة لتحفظ على الناس دينهم، وتُنقذهم من الهاوية، وتنظم شؤون دنياهم التي وكلها إليهم { أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ }^(١). حتى لا تكون مادية تؤدي إلى الدهرية، أو شيوعية تؤدي إلى الإلحاد، أو رأسمالية تؤدي إلى الاستغلال والاستعباد، أو حرية تؤدي إلى الإباحية والفواحش، أو علمانية تؤدي لعزل الدين عن الحياة، أو رهبانية تؤدي إلى الابتداء والانحراف، أو عقلانية تؤدي إلى الهوى والأوهام، أو صوفية تؤدي إلى الخرافات والخزعبلات، أو بوذية تؤدي إلى عبادة الأصنام من جديد، أو هندوسية تؤدي إلى عبادة البقر، أو سيخية تؤدي إلى عبادة النار، أو يهودية تؤدي إلى الكتمان والتبديل وعبادة «عزير» من دون الله، أو نصرانية تؤدي إلى القول على الله بغير حق، والافتراء عليه

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم: ك: الفضائل، ب: وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معاش الدنيا على سبيل الرأي (٢٣٦٣).

وعبادۃ المسيح، أو رافضيّة تؤدّي إلى الانحراف عن الحق، وإلى تأويله تأويلاً فاسداً، أو سلبية تؤدّي إلى الاستسلام والخذلان.

• فبالحقّ نزل الإسلام، وسطاً (عدلاً)، فلا رهبانيّة ولا تبكّل، ولا إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تسبّب.

جاء متكاملاً متجانساً متلائماً، فإذا بدأ المسلم في التبديل فقد بدأ في الانسلاخ بالتدريج، وحدث الخلل لهذا التكامل، واختلط صفاءه وتعكّر تجانسه، ولم يعد التلاؤم تاماً أو كاملاً.

فأيّ استبدال في أيّ جزئية من شعائر الإسلام يقدح في الهويّة، ويغيّر في صبغة الله تعالى لعباده المؤمنين، وتكون بداية الاستدراج.

لذلك:

- شدّد الإسلام على بطلان الشُّرك .. لأنه ينقض التوحيد.
- وشدّد الإسلام على بطلان الكُفر .. لأنه ينقض الإسلام.
- وشدّد الإسلام على تحريم الفواحش .. لأنها تهدم البنيان.
- وشدّد الإسلام على تحريم الخبائث .. لأنها تتنافى مع الطيبات.
- وشدّد الإسلام على تحريم الغشّ وقول الزور والكذب والربّاء، والرّشوة، والغيبة، والنميمة، والظلم، والسّرقة، والغلول، والخيانة، وقتل النفس، وشرب الخمر، وأكل أموال الناس بالباطل؛ لأنها تؤدّي

إِلَى الْإِنْحِطَاطِ، وَهِيَ سَبَبٌ لَغَضَبِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، وَحُلُولِ نَقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ.

• كَمَا شَدَّدَ الْإِسْلَامُ عَلَى وَجوبِ إِقَامَةِ الْحُدُودِ؛ كَيْ يَتَحَقَّقَ الْأَمْنُ، وَيَكُونَ الْمَجْتَمَعُ طَاهِرًا نَقِيًّا آمِنًا كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلِ.

□ مِنْ تَشْبِهِهُ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ:

لِكُلِّ إِنْسَانٍ قُدُوءٌ يُحِبُّ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهَا، وَلَهُ شَخْصِيَّةٌ تُعْجِبُهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِهَا، وَلَهُ شَبِيهٌ يُقْلَدُهُ، وَيُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ فِي مَظْهَرِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَأْكَلِهِ، وَحَدِيثِهِ، وَحَرَكَاتِهِ، وَهَنَّاكَ عَادَاتٌ وَتَقَالِيدٌ وَأَعْرَافٌ يَنْشَأُ النَّاسُ عَلَيْهَا.

فَنَحْنُ أُمَامٌ قُدُوءٌ، وَشَخْصِيَّةٌ مَشْهُورَةٌ، وَمُقْلَدَةٌ، وَأَعْرَافٌ وَتَقَالِيدٌ. وَعَلَى الْمُسْلِمِ سَلِيمِ الطَّبَاعِ صَحِيحِ الْفِطْرَةِ، نَقِيٍّ السَّرِيرَةِ، رَاجِحِ الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ:

(١) لَهُ قُدُوءٌ: تَلِيْقُ بِهِ، بِهَا يَعْتَزُّ وَيَفْتَخِرُ، سَلِيمَةٌ مِنَ الْمَعَائِبِ وَالنَّقَائِصِ، أَجْمَعُ عَلَيْهَا الْعُقَلَاءُ وَالْفُضَلَاءُ وَالْمُنْصِفُونَ، كَمَلَّتْ أَخْلَاقُهَا، وَحَسُنَتْ سِيرَتُهَا، وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كَمَا اخْتَارَهَا وَارْتَضَاهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ «أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ۖ﴾ [الأحزاب].

فمن يا ترى يكون أحق أن يكون أسوة وقدوة لك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو اختيار الله لك؟

(٢) له شخصية متميزة ب: العلم، والحكمة، والحلم والأناة، والعدل، والرحمة والشفقة، والمحبة بين الناس، والتطلع إلى معالي الأمور، والبعد عن سفاسفها، وهذه أيضاً لم تجتمع إلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعده من العلماء والفقهاء.

أمّا أن تكون له شخصية معروفة ب: الفجور، وشرب الخمر، والحنا، واللهو، والغناء، والرقص، والكُرْه، فهذا هو النقص في إنسانيته، والضعف في تفكيره ورؤيته.

(٣) له من يُقلِّده في الخير، والنفع، والصفات الحميدة، والحِصَالِ الرشيدة. فهذا من وَطَنَ نفسه، وحماها من أن ترعى في حِمَى الغَيْرِ، وحفظ نفسه بهذا التقليد من العِيِّ والكثرة المذمومة، أمّا أن يكون له مقلد يُقلِّده في كل شيء: الخير والشر، الإحسان والإساءة، فهذا يكون أقرب أن يكون عبداً له لا مقلداً له.

فالتقليد للآباء والأجداد وَهُمْ على الباطل مذمومٌ في الكتاب والسُّنة، والتقليد للناس في الشرّ والإساءة هو الإِمِيعَةُ التي نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والتقليدُ للشخصيات الهزليّة التافهة يُوقِعُكَ في بحر الغفلة والشهوة ويجرُّكَ إلى الهاوية.

أمّا التقليد في العادات والأعراف فلا بأس به ولا حرج بشرط أن تكون موائمة ومتناسبة ومتناسقة مع أحكام الإسلام؛ بل تُعدُّ مخالفتها حينئذٍ من الحماقة والفظاظة، وقد تكون المخالفة لها من أجل الشُّهرة أو لفت الأنظار.

أمّا إذا خالفت الأعراف والتقاليد الكتاب والسنة فلا يُعتدُّ بها ولا قيمة لها، لأنها حينئذٍ تكون: ندًا وضدًا لما اختاره الله تعالى لعباده.

❏ لماذا نهى الإسلام عن موالاته الكفار؟

أولاً: للمحافظة على ما تميّز به الإسلام.

ثانياً: لعدم الذوبان في الناس للمحافظة على دين الله، وصبغة الله تعالى وعلى الهوية الإسلامية.

ثالثاً: للانفراد بالتميّز في العقيدة والتوحيد، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات والأحكام، والسياسة والحكم، والحلال والحرام، والتربية والاجتماعيات.

رابعاً: للوصول إلى قبول الأعمال؛ فالله لا يتقبّل إلاّ مراده، وإلّا

ما كان خالصاً لوجهه الكريم، ومرادُ الله تعالى أرسل به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقبل الله في عمل العبد حين ينوي القيام به شريكاً آخر معه.

خامساً: المحافظة على العلو: لأنَّ الأدنى هو الذي يتشبه بالأعلى منه في الغالب، والله جعل أهل الإيمان هم الأعلون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، {وَالْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى}.

ولم يقل سبحانه وأنتم أعلون (بالتنكير)، وذلك لأن اللفظ بالتنكير يعني أن الموصوف به قد يكون أعلى مرّة وأدنى أخرى، فالمؤمن يجب أن يكون أعلى وأعزّ على الدوام. لا يسفل ولا يذل نفسه بالتشبه بمن هم أقل منه في الدين والإيمان.

سادساً: أن التشبه يقتضي المحبة والرضا والموالاتة، ولا يعقل أن المسلم يجب أصحاب الأعمال المخالفة للإسلام ويرضى عنهم ويواليهم. قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة].

فالله هو وليُّ الذين آمنوا، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض، وكذلك الكفار

بعضهم أولياء بعض، وإذا لم يمتبه أهل الإيمان إلى ذلك تكون فتنة في الأرض وفسادٌ كبير.

سابعاً: أن التشبه بالكفار وأهل النفاق في عقائدهم وعبادتهم سببٌ في فرقة المسلمين، وإثارة الجدل والخلاف بينهم، وذلك شرٌ كبير، وإثم عظيم، فالفرقة على الحق هي أول ثمرة للتشبه بالذين اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وهي سبب الفشل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنزِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ بَارِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ثامناً: أن التشبه في أمة الإسلام سبب غلبة الكفار عليهم، واحتلال أرضهم، عن طريق هؤلاء المعجبيين والمتشبهين بهم، فهم جيل الخونة في كل عصر ومصر، وهم القنطرة التي يعبر عليها المستعمر (المستخرب) إلى بلاد المسلمين.

تاسعاً: فيه كثيرٌ لسواد أهل الباطل، والميل والتقارب إليهم، وإزالة الفوارق بيننا وبينهم.

عاشراً: في التمسك بهدي الإسلام الظاهر والباطن، واتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة وقُدوة، والتشبه بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قولاً وسلوكاً وجهاداً وعملاً وإخلاصاً، رضوانُ الله ورجته ورحمته والفوز العظيم، وائتلاف القلوب، والوحدة والاتحاد على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

وفي ترك التشبه بهؤلاء إلى التشبه بغيرهم دليل على سخط الله تعالى، ومقتة وغضبه وعقابه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَ تَمَصِيرًا﴾ [النساء].

لذلك قال صلى الله عليه وسلم: { مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ } (١).

• فخاصية المسلم متميزة، معروفة، مشهود لها، فهو يُعرف من خلال مظهره، وسلوكه، وأخلاقه، وتعاملاته، وأقواله، وكم دخل الناس في دين الله أفواجا لما تعاملوا وخالطوا أهل الإسلام، فأبهرهم سلوكهم وأخلاقهم قبل عبادتهم، وزيمهم وحجاب نسائهم قبل معاملاتهم، وعلو همتهم وترفعهم عن الدنيا، ونشاطهم واجتهادهم في البكور، وحبهم لنيهم، واستجابتهم له في أخوة صادقة وحب في الله، لم يعرف العالم مثله قط في نظام بديع لربهم جلّ وعلا، كلما ارتفع صوت

(١) أخرجه أبو داود: ك: اللباس، ب: في لباس الشهرة (٤٠٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٤٩).

المؤذن، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، وبلا فرق بين غني وفقير، وعزيز وذليل، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

حادي عشر: يومَ يكونُ المسلمُ كالكاfer، فهذا يُعتبر من الصدِّ عن سبيل الله تعالى، والتخلي عن مهمّة الرسل والأنبياء التي انتقلت إلينا بعد نبينا الخاتم صلى الله عليه وسلم، فإذا كنا نحن حاملين لواء الدعوة والهداية، وإنقاذ الناس من النار، فهل يجوز أن يتشبه المسلم منّا بالكاfer؟ إن تشبه المسلم بالكاfer يعني تركه وتخليه عن جزء من دينه؛ إذ جعل تمسكه بما يتشبه به أولى من تمسكه بدينه، والمسلم إذا انسلخ من دينه في جُزئية.. فبعد قليل يكون عدوًّا لها، متأوّلًا للنصوص، يُؤوّل مراد الله تعالى فيها حسب هواه، فيقع في عبادة الهوى والصدّ عن سبيل الله، وهو يحسب أنه يُحسّن بذلك صنعا.

□ الاستبدال في العقيدة والتوحيد:

وهو أخطر أنواع الاستبدال، وأشدّها ضررًا على دين العبد ودينه، وإليك بعض النماذج مما استبدله المسلمون اليوم ببعض الأمور من دين الله تعالى، فقد استبدلوا بها عاداتٍ وتقاليده وأفعالا ما

أنزل الله بها من سلطان، يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير،
عسى الله تعالى أن ييسر لنا الكتابة في هذه السَّنِ، ومنها على سبيل
المثال لا الحصر:

- استبدلهم بصبغة الله تعالى، صبغاتٍ أخرى، إما فرعونية، أو
فارسية أو روميّة، أو تشبّه بصبغات مَنْ لا خلاق لهم، فأين الهوية
الإسلامية؟!

- استبدل الأمانى والأحلام والدّعة والحمول والكسل والراحة
بالأخذ بالأسباب والإعداد والاستعداد.

- استبدل حمية الجاهليّة بالحمية للحقّ.

- استبدل عقيدة المنافقين وحبّ الناس أجمعين بعقيدة الولاء والبراء.

- استبدل الرياء بالإخلاص لله تعالى.

- استبدل البدعة وأتباع الهوى والوهم، والتشبه بالمغضوب
عليهم والضالين بالسنة النبوية المشرقة.

- استبدل إرادة الدنيا بإرادة الآخرة.

- استبدل التدليس وعدم الإتيان بالعمل والالتزام والإتيان.

- استبدل الموضة والإتيكيت والبروتوكول بالآداب والأخلاق

الإسلامية.

- استبدال القوانين الوضعية بأحكام الشريعة الإسلامية.
- استبدال نقر الصلاة، والصلاة في البيوت بالخشوع في الصلاة، والصلاة جماعة في المسجد، واستبدال التأخير عن الصلاة والتلكؤ عنها بالتبكير إلى صلاة الجماعة.
- استبدال إمامة الفاسق والمبتدع بإمامة القراء والملتزمين بالسنة.
- استبدال الاستيقاظ لمواعيد العمل والمدارس بالاستيقاظ لصلاة الفجر.
- استبدال الأنكحة الفاسدة بالنكاح والزواج الشرعي.
- استبدال التعقيد وزيادة التكاليف في النكاح والتقيد بقائمة منقولات ومؤخر صداق وذهب بالجرامات، سواء كان في وسعه أو في غير وسعه بالتيسير في المهور.
- استبدال السهر لساعات طوال من الليل والسمر وضياع صلاة الليل وصلاة الفجر بالنوم مبكرًا بعد صلاة العشاء.
- استبدال الأناشيد والأغاني بحفظ القرآن والسنة.
- استبدال الأعداد الأعجمية بالأعداد العربية.
- استبدال التحدث باللهجة العامية واللغات الأخرى بالتحدث باللغة العربية الفصيحة.

- اِسْتَبْدَالُ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ.
- اِسْتَبْدَالُ النَّكْتَةِ وَالْكَذْبِ وَاللَّهُوِ الْحَرَامِ بِالصَّدَقِ فِي الْفُكَاةِ
وَالدُّعَابَةِ وَاللَّهُوِ الْمُبَاحِ.
- اِسْتَبْدَالُ مَفَاهِيمَ أُخْرَى، وَفَلَسَفَاتٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
بِالْمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْوَقَاعِ وَالْدُنْيَا وَالْكُونِ وَالرُّوحِ.
- اِسْتَبْدَالُ تَقْوِيمِ النَّصَارَى الْمِيلَادِيِّ بِالتَّقْوِيمِ الْمَجْرِيَّةِ هُوِيَّةَ الْأُمَّةِ.
- اِسْتَبْدَالُ السَّاعَةِ الْأَجْنِبِيَّةِ بِالسَّاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ.
- اِسْتَبْدَالُ السِّيَاحَةِ فِي الْبِلَادِ الْأَجْنِبِيَّةِ بِالسَّفَرِ لِلْحَجِّ وَالْعَمَرَةِ.
- اِسْتَبْدَالُ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُشَابَهَةً لِلْغَرَبِ بِالْإِنْفَاقِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ وَالدَّعْوَةِ.
- اِسْتَبْدَالُ عَادَاتٍ وَأَدَابٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ بِأَدَابِ الطَّعَامِ
وَاللِّبَاسِ وَسَائِرِ الْأَدَابِ الْإِسْلَامِيَّةِ.
- اِسْتَبْدَالُ التَّعَامُلَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ بِالتَّعَامُلَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.
- اِسْتَبْدَالُ الْجُلُوسِ الشُّؤْءِ بِالْجُلُوسِ الصَّالِحِ.
- اِسْتَبْدَالُ سَمَاعِ الْأَغَانِي وَاللَّغْوِ وَالرَّفَثِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُنَاجَاةِ بِهِ.
- اِسْتَبْدَالُ نَظْمِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ الْغَرِيبَةِ بِنَظْمِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.
- اِسْتَبْدَالُ الصَّمْتِ أَمَامَ الْمَسْلَسَلَاتِ وَالْأَفْلَامِ وَكَرَةِ الْقَدَمِ بِأَنْ

يَكُونُ صَمْتِي فِكْرًا، وَنَظْرِي عِبْرًا، وَنُطْقِي ذِكْرًا.

- اسْتَبْدَالُ السَّرْعَةِ وَالْعَجَلَةِ وَالشَّدَةِ فِيهِمَا بَيْنَهُمُ وَالْخُضُوعَ لِلْكَفَارِ وَالْعَجَلَةَ وَالتَّسَرُّعَ بِالْحِلْمِ وَالْأَنَاءِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالشَّدَةَ عَلَى الْكَفَارِ وَالرَّحْمَةَ بَيْنَهُمُ.

- اسْتَبْدَالُ الْبَرَجَةِ الْعَصِيَّةِ لِلْعَقْلِ P.L.N بِالْبَرَجَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِلرُّوحِ، وَالتَّنْمِيَّةَ الْبَشَرِيَّةَ الْعَقْلِيَّةَ الْغَرْبِيَّةَ بِالتَّنْمِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

- اسْتَبْدَالُ أَمَثَلَةِ الْغَرْبِ بِالْحِكْمِ الْمَأْثُورَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَثَالٍ: (لَا تَعْطِنِي سَمَكَةٌ وَعَلِمَنِي كَيْفَ أَصْطَادُ)، فَأَيْنَ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِذْهَبْ وَاحْتَطِبْ}؟.

- اسْتَبْدَالُ الْمُؤَلَّفَاتِ الْعَصْرِيَّةِ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ الطَّيِّبِ وَالْخَيْثِ بِعُلُومِ الْإِسْلَامِ وَكُتُبِ التَّرَاثِ.

- اسْتَبْدَالُ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِسِمَةِ الْإِسْلَامِ وَسُنَنِهِ.

- اسْتَبْدَالُ الطَّمَعِ وَكَثْرَةِ الْعَرَضِ بِالْقَنَاعَةِ وَغِنَى النَّفْسِ.

- اسْتَبْدَالُ السَّخَطِ وَالضَّجْرِ بِالرِّضَا بِالْقَضَاءِ.

- اسْتَبْدَالُ الْمَادِّيَّةِ فِي الْمَنَاهِجِ الْأَرْضِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ بِالتَّوَازُنِ فِي الْإِسْلَامِ

بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَالْعَقْلِ وَالْوَحْيِ، وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- اسْتَبْدَالُ النَّعْرَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْعِزَّةِ الْإِبَانِيَّةِ.
- اسْتَبْدَالُ الْوَهَنِ وَحَبِّ الدُّنْيَا بِحَبِّ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.
- اسْتَبْدَالُ نَمَازِجِ السُّوءِ الْوَضِيعَةِ بِالْأَسْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَسَنَةِ.
- اسْتَبْدَالُ الْحُجَّةِ وَالْعِلْمِ بِالْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ.
- اسْتَبْدَالُ الرُّوَيْضَةِ وَالرُّؤُوسِ الْجُهَّالِ بِأَهْلِ الْعِلْمِ الْأَتْقِيَاءِ.
- اسْتَبْدَالُ الْإِسْبَالِ وَالْخِيَلَاءِ بِسَنَةِ ﴿وَيْلَاكَ فَطَهَّرَ﴾.
- اسْتَبْدَالُ الضَّمِيرِ بِالتَّقْوَى.
- اسْتَبْدَالُ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَغْنَاكُمْ وَأَكْرَمَكُمْ بَيْتًا بـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.
- اسْتَبْدَالُ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ بِالْجِهَادِ الْأَكْبَرِ.
- اسْتَبْدَالُ الْقَوْمِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ وَالتَّحَرُّبِ بِالْخِلَافَةِ وَوَحْدَةِ الْأُمَّةِ.
- اسْتَبْدَالُ مُنْكَرَاتِ الْأَفْرَاحِ وَالْمَآتَمِ بِالْفَرَحِ وَالْحُزَنِ بِضَوَابِطِ الْإِسْلَامِ.
- اسْتَبْدَالُ أَلْفَافٍ لِلتَّحِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ».
- اسْتَبْدَالُ الْمَحَاكِمِ الْوَضِيعَةِ وَالَّتِي تَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِالْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ.
- اسْتَبْدَالُ الْعِلَاقَاتِ الْمَشْبُوهَةِ الْمُحَرَّمَةِ بَيْنَ الْجَنَسِينَ بِالْعِلَاقَاتِ

الزَّوْجِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُتَمِيزَةُ.

- اسْتِبْدَالُ اتِّخَاذِ الْخَلِيلَاتِ وَالْأُخْدَانِ بِتَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ.

- اسْتِبْدَالُ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ وَحِجَابِ الْمَوْضَةِ وَتَبَرُّجِ الْحِجَابِ وَتَبَرُّجِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْحِجَابِ الشَّرْعِيِّ.

- اسْتِبْدَالُ اسْتِبْدَادِ الْمَرْأَةِ وَتَقْدِيمِهَا بِقَوَامَةِ الرَّجُلِ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةٌ﴾.

- اسْتِبْدَالُ الزَّيِّ الْأَفْرَنْجِيِّ بِالزَّيِّ الْعَرَبِيِّ.

- اسْتِبْدَالُ السَّوَاكِ بِمَعْجُونِ الْأَسْنَانِ.

- اسْتِبْدَالُ الْاِقْتِصَادِ الرَّبَوِيِّ بِالْاِقْتِصَادِ الْإِسْلَامِيِّ.

- اسْتِبْدَالُ عَادَةِ خُرُوجِ الْمَرْأَةِ لِلْعَمَلِ بِمُكْتَهَا فِي الْبَيْتِ لِلْقِيَامِ بِوُضُفَتِهَا الْأَسَاسِيَّةِ مِنَ الْقِيَامِ بِأَعْبَاءِ الزَّوْجِيَّةِ وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا.

- اسْتِبْدَالُ بَرِّ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْأَنْسَابِ بِبَرِّ الْوَالِدَيْنِ.

- اسْتِبْدَالُ الطَّيِّبَاتِ بِالْخُبَائِثِ، وَالْحَرَامِ بِالْحَلَالِ.

- اسْتِبْدَالُ الْاِسْتِبْدَادِ وَالظُّلْمِ وَهُوَ الْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ الْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

- اسْتِبْدَالُ التَّسْمِيَةِ بِعَبْدِ الرَّسُولِ وَعَبْدِ النَّبِيِّ وَأَسْمَاءٍ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ

وغير إسلامية بالتسمية بعبد الله وعبد الرحمن.

- استبدال النعمة الجاهلية بالعزة الإيمانية.

- استبدال الاجتماع للعزاء بالعزاء على القبر.

- استبدال خشية الناس بخشية الله تعالى.

- استبدال التأمين المحرم بالتكافل الاجتماعي في الإسلام.

- استبدال شرك الدعاء بتوحيد الله والدعاء للأموال.

وبالجملة: فقد استبدل بعض الناس بنظام الإسلام للحياة، وهو

أروع وأنسب أسلوب للحياة نظامًا مختلطة شقي الناس بها، وفقدوا

هويتهم الإسلامية شيئًا فشيئًا، فأنحدرت بهم الحياة، وضلوا الطريق

للسعادة والهداية، فمتى نتوب إلى الله عز وجل، ونهجر ما استبدلناه،

ونعود إلى ما اختاره الله تعالى لنا وهو الأعلى والأقيم والأقوم؟

قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة].

• هنيئًا لمن لم يستبدل شيئًا بشيء من دين الله تعالى الذي اختاره

للعالمين، ورضيه لهم، وختم به الأديان والرسالات، هنيئًا له في الدنيا:

بمعية الله تعالى له ورعايته وحفظه ورحمته وميته عليه براحة البال وطيب

الحال والحياة الطيبة وسلامته من كدر الدنيا، وفي الآخرة: بمقعد صدق

عند مليك مقتدر في جنات ونهر، وبأنه من وفد الله المكرمين، وأهله المقربين المتقين في رَوْح وريحان وجنة نعيم. اللهم اجعلنا منهم.

• وسوف أقتصر في هذا الكتاب على أخطر أنواع الاستبدال وهو استبدال الشُّرك بالتوحيد؛ لأنه يمنع من دخول الجنة، وصاحبه يخلد في النار، ولا يقبل الله من المشرك صرفاً ولا عدلاً، فعمله هباءً مَثُورٌ.

□ خطورة الشُّرك :

يعتبر الشُّرك في الإسلام أخطر أنواع الكفر وأشدّها ضرراً، لذلك كانت أولى المهمات لرسالة الأنبياء والمرسلين: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، اعبدوه واجتنبوا الطاغوت.

• والشُّرك يُحبط عمل الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن شَرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

• والله لا يغفر أن يُشرك به: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

• والشُّرك كما وصفه الله تعالى ظلمٌ عظيم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان].

• والسموات يتفطرن، وتنشق الأرض، وتكاد الجبال تحرُّ هداً على كل من أشرك بالله وجعل له نداً. ولما سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: { أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ } (١).

• فالشُّرك أكبر الكبائر، ولا يقبل الله معه صرفاً ولا عدلاً، ولا عملاً، ولا قولاً، ولا عبادة، ولا صدقة، ولا تقرباً.

• وما أفسد الدِّين، وآذى المرسلين والأولياء والصالحين في كل زمان ومكان إلاَّ أهل الشُّرك.

• ومن خلال الشُّرك تنتشر الخرافات والحزِعبلات، وتهدر قيمة الإنسان ذاته، حيث أهدر هو قيمة خالقه جلَّ وعلا، لأنه سبحانه هو المستحق للعبادة والتعظيم والمحبة العظمى بلا منازع.

• ولو علم المشرك الفارق بين الخالق والمخلوق لما أشرك معه أحداً.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، وقال: ﴿أَمْ

جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿فَن

كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١) [الكهف].

(١) أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) ح (٤٤٧٧)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: كون الشُّرك أقيح الذنوب وبيان أعظمها بعبده (٨٦).

• ولو علم المشرك أن الأمن والهداية لا يكونان لمشرك أبداً لما أشرك مع الله أحداً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام].

بظلم، أي: بشرك، ألم تسمع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان].

وينقسم الشرك إلى خمسة أقسام:

الأول: شرك النسب:

وهو أن تعتقد بأن الله له شريك أو ولد أو زوجة، أو يحتاج لأحد من خلقه، أو معه آلهة أخرى، أو أن هناك أقطاباً يساعدونه في إدارة الكون، أو أن الملائكة بنات الله، كل ذلك يُبطل اسم الله «الغني» عن خلقه، والغني بذاته، والكل محتاج إليه، فهو سبحانه ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [٢] ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [١] ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٢] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [١] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [٢٣] [الأنبياء] بل إن الكون يغضب ممن ادّعى له ولداً.

قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ

لِحِبَالِ هَذَا ﴿١٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿١١﴾ وَمَا يُبْغَى لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ ﴿مريم﴾، وهذا أشد أنواع الشُّرك والكفر وأقبحه، وهو من أشد نواقض الإسلام والتوحيد، فالله تعالى ليس له شبيه، أو مثيل، أو نظير، فهو سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يحتاج إلى شيء، وكل شيء محتاج إليه لا يستغني عنه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص].

الثاني: شرك العبادة:

وهو أن تعبد غير الله، سواء كان المعبود صنمًا أو حجرًا أو شجرًا أو نارًا أو بقرة أو بشرًا، أو تجعل بينك وبين الله واسطة في العبادة، كقول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى في بيان واضح جلي لا يقبل التأويل أو المجادلة أو المكابرة: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

فالله عزَّ وجلَّ الذي خلق وحده؛ لذلك فهو المستحق للعبادة وحده، بلا شريك ولا وسيط.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: { يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ }، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: { فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا } (١).

ولا شك في أن هذا النوع من الشُّرك هو ما كان عليه مشركو قريش، فقد عبدوا الأصنام، وجعلوها واسطة بينهم وبين الله تعالى.

الثالث: شرك المحبة:

وهو أن يُحب المسلم أندادًا - سواء كانوا من البشر، أو من الجن، أو من الجهاد - مثل حبه لله تعالى أو أكثر.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

ومدلول هذه المحبة الطاعة، منها قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٩٠﴾ [يس]. وعادة الشيطان هي محبته المتمثلة في طاعته، ومنها قول النبي

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: اسم الفرس والحمار، ح (٢٨٥٦)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرّم عليه النار، ح (٣٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْحَمِيصَةِ،
إِنْ أُعْطِيَ رِضْيِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطٌ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا
انْتَقَشَ } (١).

فبلغ حُبُّهُ لِلزَّيِّ واللباس والدرهم والدينار والمرأة مبلغَ الطاعة،
فصارت هذه الأشياء معبودةً، والمعروف أن من أحبَّ شيئاً شغله حُبُّهُ
وعشقه إِيَّاه عن حُبِّ الله تعالى وطاعته؛ ومن ثمَّ يكون قد جعل هذا
الشيء الذي أحبه ندّاً لله تعالى يتعلَّق قلبه به مثل تعلُّقه بالله عَزَّوَجَلَّ.

والعقل السليم الرشيد لو فكَّر في حُبِّ الله تعالى وحُبِّ غيره لَعَلِمَ
أن حُبَّ الله تعالى لا يقوَّى على منافسته أو الوصول إلى مستواه أو
الاقتراب منه أي حُبِّ آخر.

□ لماذا نحب الله عَزَّوَجَلَّ حُبًّا معظماً؟

١- لأن الله سبحانه اجتمعت فيه خصال المحبة كلها. فالغني يُحِبُّ
والله هو الغني، والقوي يُحِبُّ والله هو القوي، والعظيم يُحِبُّ والله هو
العظيم، والكريم يُحِبُّ والله هو الكريم، والعادل يُحِبُّ والله سبحانه
هو العدل، ويستحيل أن تجتمع هذه الصفات عند أحد بكما لها
وشمولها مثل اجتماعها في الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٧).

٢. لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق وَحْدَهُ وهذا لا يجتمع لغيره أبداً، ويستحيل ذلك، والخالق بلا شك يُحِبُّ مَحَبَّةً خاصة فريدة.

٣. لإنعام الله تعالى على عباده: { أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ } (١)، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٤. لأن لقاء الله عَزَّوَجَلَّ أعزُّ وأغلى لقاء، فهو لقاء القمة: العبد الفقير والرب العظيم الغني العزيز، وهو أحب إلى النفوس المؤمنة، فمن أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فكم تكون المَحَبَّة لمن يرتقي ويشتاق لهذا اللقاء؟

وكان من دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ } (٢).

٥. لانفراد الله تعالى بالألوهية والربوبية والملك، فهو سبحانه الإله الحق، وربُّ الناس، وملكُ الناس، ولا يشكُّ عاقل في أن مَحَبَّةَ الإله الملك الربِّ يجب أن تكون في مرتبة لا تصل إليها أيُّ مَحَبَّةٍ أخرى.

٦. لأن الله سبحانه هو المتفرد بالقضاء والقدر، والعزُّ والإذلال، والغنى والفقر، والإحياء والإماتة، وإليه المرجع والمصير، وهو سبحانه

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٧٨٩)، وقال: حسن غريب، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي: ك: السهو (١٣٠٥)، (١٣٠٦). واللفظ له.

الذي لا يُسأل عما يفعل، يُدخل من يشاء الجنة، ويُدخل من يشاء النار. فكانت محبة العبد لله محبة عظيمة فريدة؛ طمعاً في رحمته ورجائه التي لا يملكها غيره، وخوفاً من ناره وعقابه الذي لا يملكه غيره.

• هذا بجانب حفظ الله تعالى لعبده، وصبره عليه، وحلمه عليه، وفتح باب توبته إذا تاب وأناب، وستره عليه عشرات المرات، وهو سبحانه الكافي لعبده، المالك والمتفرد في كل حركة يعملها العبد، وكل نفس يتنفسه، سبحانه ذو الجلال والإكرام (١).

• وقد فصل الله تعالى هذه المحبة تفصيلاً جميلاً دقيقاً في قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَابْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة]. ففي هذه الآيات:

• التحذير من محبة الآباء والإخوان وهم على الكفر، فقد بين الله تعالى لهم مظاهر هذا الحب من: الموالاة، والنصرة، والتأييد، والرضا،

(١) راجع كتاب: كنوز المحبة للمؤلف - غفر الله له - .

وأباح فقط من المحبة لهم: الصلابة للوالدين بالمعروف ما لم يكونا من المحاربين لله ولرسوله، والبر والقسط.

وقيّد الطاعة للوالدين ولكل ما سوى الله تعالى بالمعروف.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ } (١)، والأصل: أنه لا طاعة لمخلوق إذا أمر بمعصية الخالق جلّ وعلا.

• وبينت هاتان الآيتان أمرين عظيمين هما: محبة الله ورسوله، ومحبة الجهاد في سبيل الله تعالى.

وحذّر الله تعالى فيهما من أن يتنافس على هذه المحبة: حُبُّ الآباء، أو الأبناء، أو الإخوان، أو الأزواج، أو العشيرة (القبيلة والعائلة)، أو حُبُّ جمع الأموال والانشغال بها، أو حُبُّ التجارة والحرص عليها، أو حُبُّ بناء المساكن وتأثيثها وتحسينها.

ثمانية أشياء، كل واحد منها يحتل مكانة كبيرة في نفوس الناس، فمحبة الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والأهل وصلة الأرحام كلها يجب أن تخضع لمحبة الله تعالى، وتكون تابعة لها، نابعة منها.

• جَمْعُ المال من حلال طيب لكي يستغني به المسلم عن سؤال

(١) أخرجه البخاري: ك: الأحكام، ب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح (٧١٤٥)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح (١٨٤٠).

الناس شيء مأمور به وحسن في الشرع، بشرط ألا يشغله عن محبة الله تعالى وطاعته.

• والتجارة من أعظم الأمور بركة في الرزق، وكذا الزراعة، والصناعة، والتعليم، وتسعة أعشار الرزق في التجارة، والتاجر الصدوق مع الملائكة الكرام البررة، وإن التجار هم الفجار إلا من برّ وصدق، فلا تشغله التجارة ومهارته فيها عن محبة الله تعالى، وأداء حقوقه وفرائضه.

• والمسكن الواسع الفسيح المرتب المنظم النظيف، قد يكون من علامات رضا الله على عبده شريطة التوفيق والإعانة على شكر الله تعالى على هذه النعم.

والزوجة المطيعة، والدابة السريعة من توفيق الله تعالى لعبده المؤمن. ولكل هذه الأصناف الثمانية ضابط حتى لا تخرج هذه المحبة عن جذورها، ألا وهو: ألا تشغله محبته لهم، وودّه إياهم وسعيه عليهم عن طاعة الله تعالى، وأداء عبادته، وإقامة دينه ونصرته، وإلا صاروا بذلك أعداء له، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن].

• ومحبة الثمانية داخلة ضمنياً في محبة الله ورسوله، ويجب أن تكون

عونًا ومساعدًا على ذلك، لا أن تكون منافسًا أو مُلْهِية عنها.

• قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (١)، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { الْآنَ يَا عُمَرُ } (٢).

• ولا يجد المسلم حلاوة الإيمان ولذّة الطاعة حتى تتوافر فيه هذه الثلاث الواردة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ } (٣).

-
- (١) أخرجه البخاري: ك: الإيمان: ب: حُبَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان ح (١٥)، ومسلم: ك: الإيمان: ب: وجوب محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح (٤٤).
- (٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان والنذور، ب: كيف كانت يمين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٦٦٣٢).
- (٣) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: حلاوة الإيمان، ح (١٦)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ح (٤٣).

والأصل هو أن ينال المسلم محبة الله سبحانه، وأن يكون له قدر ومكانة ومقام عند الله ﷻ، وأن يشغل فكره وعقله ووقته ليفكر كيف يصل إلى هذه المحبة وينالها، ولقد بينه الله سبحانه في كتابه، ورسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، فليس الأمر في محبتك لله تعالى، فالكل يدعيها، ولكن الأهم أن يحبك الله عز وجل .

والجزاء من جنس العمل: فلا شك أن من أحب الله محبة مفضلة، وتحولت هذه المحبة إلى واقع عملي في حياته:

١- فآثر أمر الله تعالى وأمر رسوله على أي أمر آخر، وإن خالف هواه.
٢- وفعل أوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه، وهو في غاية الرضا والسرور والسعادة.

٣- وأحب سماع كلامه، والوقوف بين يديه مصلياً عابداً خاشعاً، فمن أحب شيئاً أحب لقاءه وسماعه.

٤- وآثر رضاه على هواه ونزواته ورغباته، وبلغ به الشوق مداه، وسعى إلى ما فيه رضوانه ورضاؤه، وارتقب موعد لقائه.

٥- وراقبه أشد مراقبة، وخاف من فواته أو فقد محبته، فمن وجد الله تعالى وجد كل شيء، ومن فقد الله تعالى فقد كل شيء، وكان على حذر من أن يغضب عليه أو يهمله بمعاصيه وتقصيره.

ورحِمَ الله من قال: «إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا هَانُوا عَلَى اللَّهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزَّوَا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ».

فكل من استبدل حُبَّه الله تعالى، بِمَحَبَّةٍ غَيْرِهِ أَوْ سَاوَى بَيْنَ الْمَحَبَّتَيْنِ فَقَدْ وَرَّطَ نَفْسَهُ فِي شَرْكِ الْمَحَبَّةِ.

الرابع: شرك التشريع والتحزب؛

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ

دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، وكانت هذه الآية سبب اعتراض الصحابي الجليل عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ، وكان نصرانيًّا ثم أسلم.

فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِّنْ

ذَهَبٍ. قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ

أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ قَالَ: { أَجَلٌ وَلَكِنْ يُحْلُونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَيَتْلِكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ } (١).

ويلحق بهذا النوع من الشرك الذي يحل ويحرم بهواه: شرك التحزب،

فهو نابع من اتباع الهوى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: ك: آداب القاضي، ب: ما يقضي به القاضي ويفتي به (٢٠٣٥٠)، وأخرجه بنحوه الترمذي، ح (٣٠٩٥).

﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْطًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

﴿٣٢﴾ [الروم]. فجعل الله تعالى من صفات المشركين أنهم فرقوا دينهم بتهاونهم في الحلال والحرام، وكانوا شيعاً وأحزاباً وفق أهوائهم.

الخامس: شرك الدعاء:

هذا النوع من الشُّرك يلتبس على كثير من المسلمين بسبب تزيين الشيطان لهم، وذيوعه وانتشاره، ووجود مدافعين عنه من أرباب الطرق ورواد المساجد التي بها أضحية تُزار، وأكثر حديث القرآن على الشُّرك من هذا النوع.

وشرك الدعاء: هو شرك المسألة والطلب، كطلب شيء من الله تعالى عبر واسطة، أو سؤال الأموات من الأنبياء والرسل والصالحين والأولياء، أو التماس البركة والنفع في حجر أو شجر أو مقصورة من نحاس أو معدن.

والله غنيٌّ عن الوسطاء والشفعاء، ولا يقبل أي واسطة بينه وبين خلقه، وبخاصة في العبادة والدعاء، والآيات كثيرة، تلك التي وردت تُحذّر وتُنذِر وتُصف المشركين شرك الدعاء بأنهم أشدُّ الناس ضللاً، ولا يفقهون، ولا يعقلون، ومرة أخرى أنهم أعداء الأنبياء يوم القيامة.

• ومن الشرك أيضًا: الحلف بغير الله، والرقي الشَّرَكِيَّة، والتَّوَلَّة، والتَّمائم، والطواف حول غير الكعبة، والتبرُّك بالأحجار والشجر والجمادات. وقول القائل: (ما شاء الله وشئتَ، ولولا الكلبُ لدخل اللصُّ).

□ الأدلة من القرآن الكريم التي تحذر من هذا الشرك :

(١) قال تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابُ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنًا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا نُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام].

(٢) قال تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف].

(٣) وقال تعالى: ﴿ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاكُمْ عَلَيْهِمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَدِيقِينَ ﴿١١٦﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهَ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٨﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَدَّ إِلَيْكُم مُّرْجُلُهُمْ بِخَسْفٍ ﴿١٢٠﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٢١﴾ [الأعراف].

والله تعالى لو لم ينزل من القرآن إِلَّا هذه الآيات في هذا الأمر لوسعت الناس، ومنعتهم من سؤال الأموات من الأنبياء والأولياء وغيرهم.

آيات في غاية البيان والبلاغة والرَّوْعَة، يُفسَّر بعضها بعضاً ولا تدع مجالاً للشك أو الريب أو فرصة للجدال والمراوغة من الحق، وبخاصة لمن يُسَوِّل لهم الشيطان أن هذه الآيات نزلت فيمن يدعو الأصنام، وأعمى هؤلاء عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ عِبَادُ أَثْمَالِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وتأمل معي ما يلي:

١- هؤلاء الأنبياء والصالحون والأولياء الأموات هل خلقوا شيئاً؟! أليسوا مخلوقين وبشراً أمثالنا؟! فما فائدة سؤال مخلوق وترك سؤال الخالق عزَّ وجلَّ؟!!

٢- وهم مع كونهم مخلوقين بشرًا، لا يملكون لأنفسهم نصرًا، ولا يملك السائل لهم نصرًا لهم لا في القبر ولا يوم القيامة.

٣- لا يسمعون ولا يستجيبون، وليست لهم مشاركة معكم في عبادة؛ لأنهم أموات غير مكلفين، فكيف تتقربون أنتم لهم بأشرف عبادة، وهي الدعاء.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: {الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ} (١).

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر].

فأي عقل يستسيغ أن يسأل السليم العاجز، وأن الحي يسأل الميت، وأن الصحيح يسأل الملعول في قبره؟!.

٤- ثم تأتي القاصمة، كيف يساعدك الميت وهو في حالة من اثنتين: إمَّا بليت أعضاؤه وصارت ترابًا، فلا أرجل ولا أيدي ولا أذن، وفي هذه الحالة أنت تسأل ترابًا وسرابًا.

وإمَّا أن الله عز وجل حفظ هذه الأجساد في قبورهم، كما حرم على

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٣٩١)، وأبو داود: ك: الصلاة، ب: الدعاء، ح (١٤٧٩)، والترمذي في أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة البقرة، ح (٢٩٦٩) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه: ك: الدعاء، ب: فضل الدعاء، ح (٣٨٢٨)، والنسائي في «السنن الكبرى»، ح (١١٤٠٠).

الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولكنهم أيضًا في هذه الحالة لا يملكون شيئًا لمساعدتك ونُصرتك وتلبية رغباتك، ولا شفاعة لهم إلا يوم القيامة في الشفاعة العظمى بإذن الله تعالى، والأنبياء يعتبرون سؤالك لهم شرًا يعادونك به يوم القيامة.

٥- ثم يبين الله تعالى أنه وحده هو الولي الذي أنزل القرآن وعلمك العبادة والدُّعاء، وهو سبحانه يتولى الصالحين يسمع شكواهم ونجواهم، ويحب دعاءهم، وهو قريب منهم.

فمن الذي يستغني عن ولاية الله تعالى له بولاية بشر أموات؟! والله إن هذا شيء عجاب.

(٤) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَرَلَيْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ لِلَّهِ يَسْبُدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْ تَوْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا الظَّنَّ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ [يونس].

وتأمل في هذه الآيات :

١- توهم وتخيّل هذا الموقف يوم القيامة، حين يجمع الله تعالى الفريقين، ويوقفهم (الدّاعي والمدعو)، وانظر كيف يتبرأ منهم ومن كفرهم وشركهم: ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاعِبُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ [يونس].
إنما كانوا يعبدون الوهم والهوى والجهل والكبرياء وعلماء السوء، ومشايخ العبث والطرق.

٢- انظر وتأمل جملة: ﴿رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٢]،
فأي ولاية أخرى ضلال وافتراء ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُفْتَرُونَ﴾.

٣- مَنْ يستحق الطلب والدعاء: الله الرزّاق صاحب خزائن كل شيء، أم الولي المقبور الذي لا يملك حبة خردل أو قطميراً؟!
مَنْ تسأل وتتوجّه إليك بقلبك وجوارحك: الذي يملك السمع والأبصار، ويُخرج الحيّ من الميت، ويُخرج الميت من الحيّ، ويُدبر

الأمر أم الذي لا يملك شيئاً؟! بلا شكّ تسأل الله ﷻ وحده.

٤. ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ هو الله المستحق للعبادة وحده، وهو الربُّ المسؤول عن شؤون خلقه المدبّر لها، وهو سبحانه الحق، فماذا يكون بعد الحق؟! ﴿فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾.

٥. هل من هؤلاء الأولياء والشركاء من بدأ الخلق مع الله؟ ومن أحق بالاتباع والسؤال: صاحب الهداية والتوفيق لها، أم من لا يملك لنفسه هداية ولا توفيقاً: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾؟ [هود: ٨٨].

٦. على هؤلاء ترك هذا الظن السيئ بسؤال الأموات، ولأنه لا ينفعهم عند الله تعالى، ولا يغني عن الحق شيئاً لكونه باطلاً في باطل. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أعظم البشر وأعلاهم قدراً ومكانة لا يصل إليها ملكٌ مقربٌ، ولا وليٌ صالح. لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فكيف بمن هو دونه؟!

(٥) وقال تعالى على لسان نبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَصْدِجِي السِّجْنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٨﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ

دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَتَشْرَعُونَ أَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
 إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ [يوسف].

وفي هذه الآيات:

- ١- هل يتخذ المسلم له ربًّا واحدًا هو الله الواحد القهار، يدعوه ويسأله ويحتاج إليه ويطلب منه، وهو عبده وهذه العبودية الحقة، أم يتخذ أربابًا متفرقة لا خير فيها البتة ربًّا يسألها من دون الله تعالى؟
- ٢- إن هي إلا أسماء يُسميها الناس: هذا قطبُ الأقطاب، وهذا وليُّ له علامات وكرامات وحركات، وهذا سرُّه باتع، و.. هل أنزل الله تعالى في دينه (قرآن وسنة) هذه الأسماء وهذه الألقاب؟! وإذا لم ترد في الكتاب والسنة فهي إذن من البدع وليست من الإسلام في شيء. بل الإسلام الصحيح منها بريء.

- ٣- ولقد حكم الله تعالى في القضية فقال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ هذا الحكم الفصل في الموضوع والتحاكم إلى الله تعالى هو العبادة: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي: لا تعبدوا غيره، ولا تسألوا غيره فهذا هو الدين القيم، وإن شدد عن ذلك الكثرة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقد كنت أتعجب من هذا الكم الكبير الغفير الذي يشدُّ الرِّحال إلى مساجد الأولياء، وموالدهم، وكنت أقول هل يُعقل أن كل هذه الكثرة على باطل؟ حتى قرأت وفهمت هذه الآية: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

وقال أحد علماء السلف رحمه الله: «عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لِقَلَّةِ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ». ويقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك». فلا يُعرف الحق بالكثرة، ولا الباطل بالقلَّة، إنما يُعرف الحق بقول الله تعالى وقول نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالحق نحكم على الرجال ونعرفهم به.

(٦) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد].

في هذه الآيات:

١- لله عَزَّوَجَلَّ يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، تجد الكافر يسير وظلة بجواره ساجد لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- الله سبحانه ربُّ السماوات والأرض فلماذا نتخذ من دونه أولياء؟ كيف تتخذون الأولياء من دون الله؟ هم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً؟ فهم لا يملكون لغيرهم من باب أولى نفعاً ولا ضرراً. فما فائدة سؤالهم إذن؟ وصرف النذور إليهم، وتعلق القلوب بهم؟!

٣- هل يستوي الظلام والنور؟! كذلك لا يستوي ظلام الشُّرك ونور التوحيد، كما لا يستوي الأعمى والبصير، والمرء إذا أغمض عينه فهذا بصر وراءه بصيرة.

فَمَنْ يسأل غير الله عَزَّوَجَلَّ فهو أشدُّ الناس عمى، لأنه أعمى البصيرة لأن قلبه تعلق بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- هؤلاء الذين يعيشون في ظلام الشُّرك، وعمى البصيرة، هل شاهدوا هؤلاء الأولياء والشُّركاء خلقاً مع خلق الله عَزَّوَجَلَّ؟! أليس الله تعالى هو خالق كل شيء، وهو الواحد المتفرد في ذلك، القهار الغالب على خلقه جميعاً؟ أليس يستحق ذلك التذلل له بالسؤال والدعاء؟!

٥- السؤال مذلة ونوع من أنواع الاحتياج، وهذا نوع من الذل، حرّمه الله تعالى على المسلم، وشدّد عليه سؤال غير الله لما فيه من المذلة والإهانة وأباح له سؤاله وحده، فهو العزة والكرامة، لأنه سؤال المخلوق للمخلوق، العاجز للقادر، الفقير للغني، العبد للربّ عزّ وجلّ.

(٧) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ [النحل].
تعني هذه الآيات أن الذين يسألون الأموات وهم في قبورهم جهلةٌ بحقيقتين:

الأولى: أنهم من خلق الله تعالى، وليس لهم أي صفة من صفات الإلهية، وأولها صفة الخلق، فهم لا يخلقون شيئاً. فكيف يُترك سؤال الخالق ويسأل المخلوق؟!

الثانية: أنهم بشرٌ مخلوق، أموات لا يملكون شيئاً، ولا سمعاً ولا بصرًا، يعني لا قدرة لهم على العطاء، وليس لديهم حواسٌ يسمعون بها أو يشعرون، ومع ذلك العجز وسلب الإرادة منهم هم في جهل وحاجة أمثالكم، ولا يعلمون ولا يشعرون متى القيامة؟ ومتى يُبعثون من قبورهم للحساب والجزاء من الإله الحق؟ وليس

لهم أي صفة من صفات الألوهية، وأولها صفة الخلق، فهم لا يخلقون شيئاً. فكيف يترك سؤال الخالق ويسأل المخلوق؟! وفي هذه الآية وغيرها ردٌّ على الذين يظنون أن هذه الآيات قد نزلت في عبادة الأصنام لا غير.

(٨) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل].

سبحان الله.. كذب على الله تعالى، وكذب على أنفسهم في الدنيا، واتَّهام للكذب، وإلقاء التَّهم على بعض يوم القيامة.

(٩) قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء].

وهذه الآيات اشتملت على أنواع الشُّرك الثلاثة، فهو سبحانه لم يكن له ولد يُعبد معه أو من دونه، ولم يكن له شريك يسأله الناس ويطلبون منه، ولم يكن له وليٌّ ينال محبة الناس وودَّهم، يتودَّدون إليه خاشعين متذلِّلين باكين، يتوسلون به إلى الله تعالى، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الكبير

وَحُدَّه المتعال وَحُدَّه، المعبود وَحُدَّه بلا شريك أو معين أو ولي،
سبحانه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص].

(١٠) وقال تعالى على لسان نبيه أفضل الخلق وأعلامهم شرفاً
ومنزلة ومكانة وقدرًا سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَكانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا
صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف].

تأمل في هذه الآية :

١- كلمة «قل» للتبليغ والإعلام والإخبار، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فوق كل قول، ومقدم على كل قول ورأي، ولا يجوز تقديم قول أحد من
الناس أو الحكماء أو المشايخ أو العلماء على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

٢- وصف نفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه بشرٌ مثلنا، وما دام اتَّصف
بالبشرية فهو يتعرَّض للمرض والصحة، والعجز والقوة، ولا يستطيع
ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا أو نفعًا إِلَّا بإذن الله تعالى، وما دام بشرًا
فلا يجب أن يكون معبودًا أو واسطة بين الله وخلقه في العبادة بعد مماته.

٣- (يوحى إليَّ): الوساطة بين الله عزَّجَلَّ وخلقه (الرسالة والتبليغ) وهذه هي الميزة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يوحى إليه من الله عزَّجَلَّ، ومأمور بتبليغ هذا الوحي، وهذا الوحي هو: مراد الله تعالى من عبده ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

لذلك فاتَّبَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمور الوحي فرض عين على كل مسلم، وطاعته واجبة في ذلك: ﴿وَمَا أَمَّا أَنْتُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾ [الحشر: ٧].

أما شؤون الدنيا، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ } (١). والله عزَّجَلَّ لا يقبل من الأعمال والعبادات إلا ما كان موافقاً لمراده وخالصاً لوجهه الكريم، ومراده هو الذي أتى به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القائل: { مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ } (٢). أي: مردود على صاحبه، فلا يُقبل، ولا يتقبَّله الله تعالى.

فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبى، أي: رفض،

(١) سبق تخریجه، ص (٢١).

(٢) سبق تخریجه، ص (٧).

كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى }، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: { مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى } (١).

• إذن فَمَنْ يسأل الأموات، ويتمسح بقبورهم، ويذبح ويضع النذور عندهم، ويعرض شكواه عليهم ويناجيهم، فهو على خطر عظيم، وضلال بيّن واضح، وشرك في المسألة (الدعاء) لا خلاف عليه بين أهل الحق قاطبة.

وعلينا أن نسأله: عملك هذا أكان يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم كان يجهله؟

فإذا قال: كان يعلمه، نقول له كذبت: لو كان يعلمه لبيّنه القرآن ووضّحته السُّنَّة، ولشّبت ذلك في الأحاديث الصحاح، وما دام لم يثبت في الكتاب والسُّنَّة، فلا خير فيه، ونحن مأمورون في العبادات بالدليل والبرهان.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ

(١) أخرجه البخاري: ك: الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٧٢٨٠).

سُوءَ عَمَلِهِ، وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ [محمد].

• وإن قال لا يعلمه رسول الله: قلنا له الذي لا يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بدين ولا شرع، وكيف لا يعلمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلمته أنت، ولا وحي بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! إذن فالأمر بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وهي شرُّ الأمور لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ } (١).

والبدعة: هي كل عمل مخترع في دين الله تعالى، يُضاهي الشريعة، وقد عَرَّفَهَا الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَهَا: « طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ، تُضَاهِي الشَّرْعَ عِيَّةً يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَاةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ » (٢). وفي هذا التعريف ثلاثة أمور:

الأول: أن تكون أمراً مستحدثاً جديداً لم يكن على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

الثاني: أن يكون هذا الأمر المستحدث في الدين أي في التشريع، فخرجت مستحدثات الدنيا من البدع المذمومة.

(١) أخرجه مسلم: ك: الجمعة، ب: تخفيف الصلاة والخطبة، ح (٨٦٧).

(٢) الاعتصام، للشاطبي (٥/١).

الثالث: أن تضاهي الشريعة، يعني تعارض الثابت بالكتاب والسنة، يقصد بها المبالغة في النُكْ والعبادة.

فالذي يزعم أن هناك بدعة حسنة يخالف قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ }، وكأنه يقول: هناك بدعة ليست ضلالة! ولا شك أن هذا محادٌ لله ولرسوله، فهو أحد اثنتين: إما أنه لا يعلم أنها من الكتاب والسنة، فهي إذن ليست بدعة، وإما أن يكون جاهلاً بقبحها وبدعتها، فهي إذن بدعة ضلالة.

والسنة على قسمين:

الأول: سنة تشريعية. **والثاني:** سنة تنفيذية.

فالسنة التشريعية حق محض موقوف على الله ورسوله فقط. والسنة التنفيذية حق مكفول لكل مسلم يأتي من السنة التشريعية قدر استطاعته ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

لذلك جمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابة على إمام في صلاة التراويح في رمضان، فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يُشرع صلاة التراويح، أو صلاتها جماعة في المسجد، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك. إذن فليس فعل عمر بدعة، لأنها ليست مستحدثة، ولكونها من الدين ولم تضاه الشريعة بل وافقتها، وهي ليست من تشريعه.

وكذلك الرجل الذي جاء للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما دعا إلى الصدقة لأهل الصفة بملء كفيه صدقات عجزَ عن حملها فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ } (١).

فالرجل الذي جاء بالصدقة، هو لم يشرعها ولم يدع إليها، إنما شرعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا إليها، ولكنه قام بسنة تنفيذية بحمله صدقات عجز عن حملها.

• والعلم يدور على محاور ثلاثة: كما في الحديث: { الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ } (٢). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي } (٣).

وسؤال غير الله تعالى من الأولياء والصالحين الأموات يقدح

(١) أخرجه مسلم: ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة، ح (١٠١٧).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الفرائض، ب: ما جاء في تعليم الفرائض (٢٨٨٥)، وضعه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري: ك: النكاح، ب: الترغيب في النكاح، ح (٥٠٦٣)، ومسلم: ك: النكاح، ب: استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه، ح (١٤٠١).

ويتنافى مع الإخلاص الذي هو أساس الدين، وأساس قبول العمل عند الله تعالى ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَدِيقًا﴾. والعمل الصالح هو ما كان صواباً أي: موافقاً لمراد الله تعالى كما جاء في الكتاب والسنة، وكان خالصاً لوجهه الكريم. قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة].

والإخلاص ألا ترى مع الله عزَّ وجلَّ أحداً، وأنت تعبد، وأنت تسأله، وأنت ترجوه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن].

فمن أشد المحرمات أن تكون في بيت الله ومسجده، وتدعو وتسال غيره.

إذن فالقضية واضحة، فقد استبدل كثير من المسلمين شرك الدعاء بالتوحيد والدين الخالص لله تعالى، وهو أهم ما يتميز به الإسلام (عقيدة صافية نقية خالية من الشرك، والخرافات والخزعبلات)، عقيدة لا تعرف إلا العبودية لله عزَّ وجلَّ، وجلب النفع، فلا حول ولا قوة إلا بالله وحده العلي العظيم.

والتوحيدُ أساسه في القلب. أين تجد قلبك؟ مع مَنْ؟ يرجو مَنْ؟
يحب مَنْ؟ يخاف مَنْ؟ يتوكل ويعتمد على مَنْ؟ بِمَنْ يتعلق ويأمل في
تفريغ الكروب، وستر العيوب، والعطاء بلا حدود؟

قال تعالى تعالى: ﴿اتَّخِذُونَهُمْ فَلِلَّهِ الْحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

﴿١٣﴾ [التوبة].

فهل يخشى المؤمنُ غيرَ الله تعالى؟ وهو على علم ويقين أن النافع
والضارَّ هو الله وَحْدَهُ، وأنه لا يوجد أحد من الناس يملك له ضرراً أو
ونفعاً، أو يستطيع ذلك إلا بإذن الله ﷻ وبأمره.

وكما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: { وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ
لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ
لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ
اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَفْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ } (١).

فالذي يخاف من بطش أو أذى بشر قد صاروا في عالم البرزخ (القبر)،
أو يرجو نفعهم، فهذا هو الشُّركُ بعينه، والضلال البين الواضح.
فمن استبدل الشُّركَ بالإيمان بالله فقد وقع في شرك إبليس - نعوذ

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرفائق والورع، ح (٢٥١٦)،
وقال: «حسن صحيح».

بالله منه -، ويُحْشَى عليه من أن يستبدله الله عَزَّوَجَلَّ، ويحشره مع أهل الشُّرك والخسران.

(١١) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ۚ فَنَكانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ۚ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝﴾ .

أي: من أراد الله وَحْدَهُ وكان حريصًا على لقاء الله تعالى فليعمل عملاً صالحًا موافقًا لما شرع، ولا يشرك مع الله في عبادته أيَّ أحدٍ.

(١٢) وقال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِّكُونُوا لَهُم عِزًّا ۝٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم].

انظر كيف سمَّى الله تعالى سؤال غيره، وخاصة الأموات، وكيف اتخذوهم آلهة، وظنوا أن هذا طريقُ عزَّتِهِمْ، فبيَّن الله تعالى أن هؤلاء الأموات سوف يكفرون بهذه العبادة الباطلة، ويكونون أعداءً وضدًّا لهم.

(١٣) قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢) أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَابِعُ حُبُوتٍ ﴿٤٣﴾ [الأنبياء].

سبحان الله! كيف يترك العبد سؤال من يرعاه ويرزقه ويشفيه ويحفظه ويستره وينعم عليه بالليل والنهار هداية ورعاية، وليس أحد في الكون يستطيع أن يحجب أو يمنع قضاء الله عَزَّوَجَلَّ لعبده، أو رزقه أو أجله؟ وهؤلاء الذين سألوهم من دون الله عاجزون عن نصر أنفسهم وحماتهم، وأظهر هذا العجز والضعف أنهم لم يستطيعوا دفع الموت عنهم، ولا نجدهم إذا حلَّ بهم القضاء، ونزل بهم البلاء.

(١٤) وقال تعالى: ﴿يَنَادِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ يُرَى الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٧٣) مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقًّا فَكَذَرُوا إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج].

في هذه الآيات يدعونا الله عَزَّوَجَلَّ إلى الاستماع لهذا المثل بأذن البصيرة. مبيِّناً أن الذين تسألونهم النفع وكشف الضر عنكم لم ولن يخلقوا ذباباً، ولو اجتمعوا له وأرسلوا الخبراء وعلماء الأرض جميعاً، واستعانوا

بمن أرادوا من الجن والإنس، لأنه لا يقدر على الخلق إلا الله تعالى.

ثم يبين الله تعالى عجز وضعف السائل والمسؤول بقوله: ﴿وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾، فإذا كان الضعف صفة لازمة للسائل والمسؤول، فلماذا لا نلجأ إلى الله عزَّ وجلَّ، ونقدِّره قدره وهيبته ومكانته، فهو سبحانه القوي الذي لا غالبَ له، والعزیز الذي لا منازعَ له.

لذلك أوصى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس وهو يُعلِّمه وهو غلام بقوله: { يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ أَحْفَظِ اللهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظِ اللهُ تَجِدْهُ نَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله... }^(١)، فحصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال والاستعانة بالله وحده.

(١٥) وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾
 ءَاللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ

(١) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: «ويحذركم الله نفسه» ح (٧٤٠٥)، ومسلم: ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، ح (٢٦٧٥).

تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ۖ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۖ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ
الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ
هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴿النمل﴾.

تأمل في هذه الآيات هذه المقارنة بين الله عز وجل، وكل ما يتخذه
الناس شريكاً معه.

١- ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ؟! سؤال لا يحتاج إلى جواب،
فالجواب معلوم ومفهوم، فلا وجه للمقارنة البتة.

٢- هل يستوي الذي خلق السماوات والأرض بهذه العظمة وتلك
القدرة، وأنزل المطر فأنبث الزرع على مختلف ألوانه وأشكاله وجماله،
فهل يعدل أحد بعد هذه القدرة إلى سؤال غيره؟!.

٣- وهو سبحانه الذي جعل الأرض قرارًا، وأوجد خلالها أنهارًا، وجعل بين الماء العذب والملح الأجاج حاجزًا ، وليس معه إله أو شريك في هذه العظمة والقدرة، وفي ذلك دليل على جهل وخيبة من يسأل غيره الذي لا يملك مثل هذه القدرة أبدًا.

٤- وهذه الفاصلة القاصمة: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا مِنَ الْأَرْضِ أَذِلَّةً مَّعَ اللَّهِ؟﴾! يا مَنْ لك حاجة ووقعت في الاضطرار، وأصابك الضر! لا يملك لك أحد رفع الضر عنك، وكشف السوء الذي لحق بك إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يملك لك العزة والرفعة والغنى والأجل سواه جلَّ وعلا، وتأمل قوله بعدها: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ؟﴾ وهذا يعني أن من أجل خصائص الإلهية كشف الضر، وإجابة المضطر، فكيف تُصَرَّفُ إلى غيره؟!

٥- وَمَنْ غَيْرُ اللَّهِ سبحانه يملك الهداية والتوفيق لكم، وإنقاذكم من التيه والحيرة؟، ومن يملك الرحمة بكم سواه جلَّ وعلا؟!.

٦- وَمَنْ الذي بدأ الخلق، ومن يعيده، ومن يرزقكم؟ هل عند هؤلاء المشركين به إجابة وبرهان ودليل أن مع الله سبحانه شريكًا في ذلك، أو أن غيره فعل ذلك؟

وإذا كان لا يوجد فلماذا يُسأل المخلوق الذي لا يملك قَدْرًا ولا رزقًا؟

٧- مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَمَنْ يَمْلِكُ أَمْرَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ؟ إِنَّهُ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَيَكُونُ مِنَ الْعَمَلِ وَالضَّلَالِ التَّعَلُّقُ بغيره وسؤاله ورجاؤه، وجعله شريكاً أو واسطة.

(١٦) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾
 ﴿١٦﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا
 إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَا بَعْدُوكَ ﴿١٧﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
 لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ [القصص].

يوم القيامة يُنادي المولى عَزَّوَجَلَّ أين هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء
 لي سواء كانوا (أنبياء أو مرسلين، أو أولياء صالحين، أو مخدوعين
 طالحين)؟!

فردَّ عليه الذين حق عليهم القول بالعذاب والنيران ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ
 الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ فأشاروا على مَنْ دَلَّهم وخدعهم ودعاهم إلى سؤال
 وعبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كانوا من الناس أو الشيطان.
 فيتبرأ كل فريق من الآخر، ثم يُقيم المولى عليهم الْحُجَّةَ الدَّامِغَةَ:
 ادْعُوا شركاءكم الآن كما كنتم تدعونهم وتسالونهم في الدنيا!
 وقتها لا يجدون إجابة أو حُجَّة أو مخرجاً، وأيقنوا أن الأمر والمملك

لله الواحد القهار، وكان الندم بعد فوات الأوان، فقالوا: يا ليتنا كنا مهتدين على الكتاب والسنة، وعلى العقيدة الصحيحة الخالصة النقية من دَرَنِ الشُّرْكِ والخُسْرَانِ.

(١٧) قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٥٥) [العنكبوت].

القرآن الكريم أعظم مدرسة لفهم النفسانيات، سبحانه الله.. فهو يعلم السر وما يخفى.

تقص علينا هذه الآية أن هناك مودة بين المشركين بعضهم مع بعض، ومصالح عندهم أهم من الدين والعقيدة، وأن شيخ الطريقة أغلى عندهم وأهم من الله ورسوله، وأنهم يهتمون باجتماعهم وأورادهم، حتى ولو كانت على الباطل والشرك ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، لكن يوم القيامة يتلاعنون، ويتخاصمون، ويكفر بعضهم ببعض، ويلقون التهم على بعض، لكن بعد فوات الأوان وهم في جهنم، وما لهم من نصير ينصرهم، ولا ولي ينقذهم.

يَا لَيْتَهُمْ يَتَعَبَّرُونَ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

(١٨) قال تعالى لَنُبَيِّهَ لَنِيَّةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ النُّصْرَةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الروم].

هذه الآية في غاية الوضوح والبيان، وإقامة الحجة والبرهان، قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من زعم أن الموتى يسمعون كلام الأحياء فقد كذب القرآن، ثم قرأت هذه الآية»، وفي رواية: مَنْ زعم أن محمداً كَلَّمَ الموتى فقد كَذَّبَ القرآن، وقرأت قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٢٢)﴾ [فاطر].

وما حدث يوم بدر من كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَتْلِ المشركين: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟! كان بوحى من الله تعالى، فقد أسمعهم الله تعالى وأحياهم لنبيه لكي يجيبوه «نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً».

كما أحيى الله تعالى قتيل بني إسرائيل في سورة البقرة لنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّلُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣)﴾ [البقرة]، فخرج القتيل من قبره، وقال: فلان قتلني. ثم عاد ثانية.

وهذا لا يكون إلا لنبيٍّ من باب المعجزات الخاصة بالأنبياء.
 فغيرُ الأنبياء لا يُوحَى إليهم، ولا يسمعون الأموات، فكيف
 يخاطب الناس من مات من الأولياء والصالحين، ويزعمون أنهم
 يسمعون كلامهم، ويبحثون طلبهم، ويرفعونه إلى الله تعالى كواسطة
 بينه وبينهم؟!

(١٩) في سورة فاطر من أول آية فيها يُعَرِّفُنَا الله بنفسه بأنه:

- ١- فاطرُ السماوات والأرض، أي خالقُها من غير مثال سابق.
- ٢- جاعلُ الملائكة رسلاً.
- ٣- يزيد في الخلق ما يشاء.
- ٤- على كل شيء قدير.
- ٥- مالكُ الرحمة للناس وحده.
- ٦- ليس هناك خالق أو رازق غيره.
- ٧- الذي يُرسل الرياح ويُحيي الأرض بعد موتها.
- ٨- له العزةُ جميعاً، والعلوُّ له سبحانه، فإنه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه.
- ٩- خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم جعله أزواجاً ذكراً وأنثى.

- ١٠- سَخَّرَ البحار ونَوَّعَهَا بين ملح أجاج، وعَذَّبَ فرات.
- ١١- خلق في البحار اللحمَ الطريَّ أنواعًا شَتَّى من الأسماك والأحياء المائية، والجواهر والذهب، واللؤلؤ والمرجان.
- ١٢- وسخرها لنا فجعل الفلك تسير فيها بفضلِهِ وبرحمته.
- ١٣- يُولج الليل في النهار، والنهار في الليل، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى.
- ١٤- وذلك كله من أجل أن نشكره ونعبده ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
- ١٥- له الملك، والربوبية وَحْدَهُ.
- ١٦- وأن جنته رحمته، والنار عذابه جعلها للماكرين الذين ينكرون الحق بال المكر والحيلة والجهل الكبير.
- ١٧- وأن المغفرة لا يملكها إلا الله وَحْدَهُ.
- ١٨- وأن الآجال والأعمال بيده وَحْدَهُ سبحانه.
- ١٩- وأن الهداية والضلال بمشيئته وَحْدَهُ.
- ٢٠- وأن مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى.
- كل ذلك آيات في صدر سورة فاطر، يُبَيِّنُ الله عَزَّوَجَلَّ فيها قدرته وأسماءه وصفاته وأفعاله ومملكه وعظمته ورحمته وجاهه من خلال

عشرين دليلاً وبرهاناً: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿هذا هو الله عزَّجَلَّ الرب الذي نعبد ونوحده ونسأله ونلجأ إليه، ونستغيث به، ونشتاق إليه، وهو المحبوب المعظم، والملك المبجل، والإله الحق، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (١٤) ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦) ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٧)﴾ [فاطر].

وفي هذه الآيات عشر مسائل :

١- هذا الوصف السابق الشامل الكامل، هو وصف الله عزَّجَلَّ، ﴿رَبُّكُمْ﴾ أي المتكفل بكم، وهي كلمة تحوي كل معاني الربوبية من: الخلق، والرزق، والرعاية، والملك، والكبرياء والعظمة.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ المستحق وحده للدعاء، والمجيب وحده لمن دعاه.

٢- ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي تسألون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كل ما سوى الله من ملك مقرب أو نبي مرسل، أو ولي صالح، أو أي واسطة أخرى.

٣- ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ أي لا يملكون أي شيء، حتى ولو كان شيئاً حقيراً صغيراً، ما يملكون شيئاً البتة، فكيف يسأل الإنسان مَنْ لا يملك؟ ويترك المالك المتصرّف؟!

٤- ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ يعني إن تسألوهم لا يسمعوا سؤالكم لسببين:

الأول: لأنه سؤال باطل.

والثاني: لأنهم أموات وهم في الحياة البرزخية.

٥- ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: وهذا للتعجيز، ويحتمل الفرضية، يعني لو أن الله تعالى أسمعهم ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يملكون شفاعاة ولا واسطة، وهم في عالم البرزخ والقبور.

٦- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ ما أوضح بيان القرآن، في أن سؤال الأموات يتأرجح بين الكفر ﴿يَكْفُرُونَ﴾ والشرك ﴿بَشْرِكِكُمْ﴾ فهذا شرك المسألة الذي حذرنا الله منه.

٧- ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾: يعني هل يظن أحد من الناس أن هناك مَنْ هو أعلم من الله عزَّ وجلَّ، وأكثر خبرة بخلق الله تعالى منه؟! مستحيل بالطبع، فاستسلم لحكم الله وعلمه فهو سبحانه الخبير

بشؤون عباده وما يصلحهم في الدنيا والآخرة.

أي بركة ترجوها، وأي خير تنتظره في أمر وصفه الله بالكفر، والشرك، وعداوة أهله، وحرمان صاحبه من العفو والصفح والمغفرة، بل إحباط العمل لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ

لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر].

فهؤلاء يعيشون في وهم كبير، وعلى خطر عظيم من:

أليس الأسلم هؤلاء البعد عن سؤال غير الله تعالى، لسلامة دينهم، ولتلبية رغباتهم، وقضاء حوائجهم، والانتساب إلى أهل الحق من أهل السنة جماعة المسلمين في كل عصر ومصر، وعدم تكثير سواد المشركين أو الانتساب إليهم؛ لذلك قال الله تعالى بعدها:

٨ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ إنها الحقيقة الغائبة عن

هؤلاء، فكل إنسان فقير إلى الله تعالى، وهو فقر ذاتي يلزمه ولا يفارقه، ولا يستطيع إنكاره، يُقرُّ به داعي الفطرة داخل كل إنسان، ولا ينكره إلا مكابر أو جاهل.

والفقر والافتقار إلى الله تعالى هو الغنى الحقيقي، الغنى العالي، ونقيضه الغنى السافل، وهذا من لوازم العبودية وخصائص الألوهية: أن يظل العبيد محتاجين إليه.

وهذه المعادلة الطبيعية، فإن لم تكن فقيراً إلى الله تعالى، واستكبرت افتقرت إلى غيره فتذوق ذل السؤال والهوان والانكسار.

٩- ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: فهو سبحانه عنده خزائن كل شيء
﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر)، وهو سبحانه مع ذلك الغني عن خلقه، وهم المحتاجون إليه، ومع ذلك يُنعم عليهم بنعم لا حصر لها، ولا حد لها ﴿وَلِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، كل ذلك بلا مقابل، وهو الغني عنهم، ولا يحتاج لهم، ورحم الله من قال: «إِنَّ الْأَغْنِيَاءَ يُعْطُونَكَ بِقَدْرِ مَا يَفْضَحُونَكَ، والذي يُعْطِيكَ فَيُكْفِيكَ، وَيُنْعِمُ عَلَيْكَ بِنِعْمٍ لَا حَصَرَ لَهَا هو الله ﷻ، فغناه لا مثيل له، سبحانه ليس كمثله شيء».

١٠- ﴿إِنْ يَشَاءِ ذَهَبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هنا تتحقق سنة الاستبدال ويتأكد معناها، وتظهر حقيقتها.

فَمَنْ أَصَرَ عَلَى سَوَالِ غَيْرِهِ، والتعلق به، وجعله واسطة بينه وبين الله يجعله في صفوف المشركين، ويُعرض عنه، فلا يحفظ له دينه، ويشغله بديناه، ويؤكله لأمر نفسه وإلى الناس. كل ذلك جزاءً وفاقاً، فَمَنْ اسْتَغْنَى عَنْ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِسْؤَالِهِ، استغنى الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ ذِرَاعًا، والجزء من جنس العمل.

يذهب الله بكم، ويأتي بقوم آخرين يُوحّدونه، ويسألونه وَحْدَهُ هؤلاء الذين يُحبهم الله ويحبونه.

(٢٠) وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ﴾ ② أَلِلّٰهُ الَّذِيْنَ خَالِصٌ ۖ وَالَّذِيْنَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۚ﴾ ③ [الزمر].

إن الغاية من نزول القرآن أن نعبد الله تعالى مخلصين له الدين بلا شريك ولا وسيط، لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

ثم بين الله عَزَّوَجَلَّ كيف يُلبس إبليس على الناس دينهم فيوهمهم أنهم يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ، وما هؤلاء إلا وسيلة تقربنا إليه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ ④ وصف الله تعالى هذه العلة الفاسدة بالكذب والكفر، وحرمان أصحابها من الهداية.

مساكين هؤلاء، فالله لا يهدي من هو كاذب بما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين الخالص، وجاحد بنعمة الله تعالى عليه بالإسلام فضيعها بالشرك والأوهام.

(٢١) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝﴾ [الزمر].

وقال تعالى في نفس السورة: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الزمر].

وتأمل كيف وصف الله تعالى حالة هؤلاء النفسية الذين يتخذون وسطاء بينهم وبين الله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝﴾ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ (٤٤) وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝﴾ (٤٥) [الزمر].

(٢٢) وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَامُرَوْفِيْ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝﴾ (٦٤) وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝﴾ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدَرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَنَهُ، وَقَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ [الزمر].

الالتباس عند المفتونين بالمقبورين من الصالحين والأولياء، أنهم لا يعلمون أن سؤالهم هو الدعاء، وأن الدعاء هو العبادة، لذلك تأمل في هذه الآيات:

١- وصفهم الله بالجهل، أولئك الذين يأمررون الناس بعبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ.

أولئك الجهال لو تعلموا أن سؤال الأموات من الصالحين والأولياء عبادة لما دعوا الناس إليها ولما فعلوا ذلك.

٢- في شرائع جميع الرسل والأنبياء من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى خاتم الرسل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن من أشرك بالله في عبادة أو محبة أو دعاء أو تشريع يخالف به شرع الله عَزَّوَجَلَّ حبط عمله، أي: لا ثواب ولا أجر له في الآخرة، ولا حسنات له ولا يتقبله الله عَزَّوَجَلَّ، ويكون يوم القيامة من الخاسرين.

٣- ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الزمر]، فالمستحق للعبادة وَحْدَهُ هو الله عَزَّوَجَلَّ، والمستحق للشكر هو الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- جمع الله تعالى بين الأمر بشكره والأمر بعبادته؛ لأن العبادة نوع

من الشكر، والشكر العملي لله عَزَّوَجَلَّ هو العبادة. فأقل ما يفعله العبد الصالح شكرًا لنعم الله عَزَّوَجَلَّ هو الإذعان والخضوع له في العبادة، فيركع معظمًا لله عَزَّوَجَلَّ، يُثْنِي عليه الخير كله، وإليه يرجع الفضل كله، وله الأمر والحكم وَحْدَهُ، ويسجد متذللاً له، خاشعاً مستكيناً داعياً إياه لما يحتاج إليه، شاكراً لأنعمه.

(٢٣) وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي عَايَتِ اللَّهِ أَنِّي

يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَعْلَالُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثَمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَنَكَّرْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر].

يوم القيامة تظهر الحقائق، وتنجلي الشبهات، ويتضح الحق ويعلو ويعز، ولن ينفع جدل هؤلاء عن الباطل، وكيف يجادلون وآيات الله تتلى عليهم، وأحاديث رسول الله بينهم؟! لماذا يُكذِّبون بالقرآن؟ وبِمَ أُرسل به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العقيدة الصحيحة، والتوحيد

الخالص؟!

سوف يعلم هؤلاء الحق عندما توضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحديد، ثم في النار يسجرون.

وهم كذلك إذ تسخر منهم الملائكة وتسألهم: أين ما كنتم تشركون من دون الله؟ ما نفعوهم، وما أنقذوهم بل ضلوا عنهم، حتى ظهر لهم الوهم الذي كانوا فيه في الدنيا: وقالوا: ﴿بَلْ لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٦) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٧﴾.

قال الله تعالى في ختام هذه السورة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ. وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ. وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [غافر]، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) [الزخرف].

سبحان الله: لماذا يُصَرَفُ جزءٌ من العبادة الحقيقية لله تعالى إلى بعض خلقه من عباده؟، انظر كيف يجمع هؤلاء بين الصلاة والصيام لله تعالى، ثم هم يجعلون جزءاً من عبادته لغيره! وذلك بسؤالهم الأموات.

(٢٤) وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا

مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف].

انظر وتدبر في صريح القرآن، هؤلاء الذين يسألون من دون الله لا

يملكون شفاععة عند الله عزَّوَجَلَّ لأحد من الناس ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وهم الرسل الكرام، شهدوا الوحي وهو الحق، ونزلت

إليهم الكتب وهي الحق، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُوفِي

بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُونَ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ وإذا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ

كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف].

(٢٥) وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا

يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾

حَطَبَتِ لَهُمْ أَعْرَافُهُمْ فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح].

وهذه الآيات تحكي بداية ظهور الشُّرك في الأرض، فقصة الشُّرك

طويلة وممتدة منذ عهد رسول الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يوم الناس هذا، واستمراراً إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها، وفي آخر الزمان يُرسل الله تعالى رِيحاً طَيِّبَةً تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ إِيمَاناً، حتى لا يقال في الأرض (الله الله)، ولا يبقى على ظهر الأرض إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة.

وهذا يكونُ بعد استكمال علامات يوم القيامة الصغرى والكبرى.

فالصغرى مثل: (ضياع الأمانة، كثرة الهرج (القتل)، العلو في المباني (الأبراج)، تقليد المسلمين للنصارى واليهود، ينطق الرُّؤْيِيَّةُ ويقل العلماء، تقارب الزمان، قطيعة الأرحام، أن تلد الأمة ربَّتها، كثرة المال، تقارب الأسواق، فشو القلم) وغيرها.

والكبرى مثل: (كثرة الخسف والزلازل، الدابة الجساسة، يأجوج ومأجوج، المسيح الدجال، نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وموته، خروج المهدي، خروج الشمس من المغرب، تخريب الكعبة، كلام الشجر (إلا الغرقد) والحجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، جفاف بحيرة طبرية، يبس نخل بيسان، وانحسار الفرات عن جبل من الذهب، واقتتال الناس عليه) وغيرها.

وسبب ظهور الشُّرك في الأرض، وعبادة الأصنام:

الغُلُوُّ في الصالحين بعد مماتهم، وجعلهم واسطة بين الله عزَّجَلَّ وخلقهم، بسؤالهم لهم ومناجاتهم، والشكوى لهم، وطلب الشفاء والنجاح ورفع الضر، وكشف الكروب منهم.

فقد كان: هؤلاء الخمسة (وُدٌّ وسُوءٌ وَيَغُوثٌ وَيَعُوقُ ونَسْرٌ) من أبناء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل كانوا أنبياء، وقيل علماء على دين نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وكانوا متقاربين، وماتوا جميعاً الواحد تلو الآخر في أيام قلائل، فحَزَنَ الناس عليهم حزناً شديداً، فقد كانوا يتعلمون منهم الخير، وعم الأمن والأمان، والطمأنينة والسلام، وأحَبَّهُم الناس حُبًّا شديداً، وقد كان لفراقهم ألمٌ شديد، وواقع أليم.

مضى الجيل الذي تعلم من هديهم وتعاليمهم حقبة طويلة من الزمن، وخرج جيل من أبنائهم أقل صلاحاً، وأميل إلى الفساد والشر، فقاموا بعمل تماثيل وصور لهؤلاء، ووضعوها في أماكن عبادتهم، ومحل صلواتهم، وقالوا: كلما نظرنا إلى هذه الصور والتماثيل تذكرنا أقوالهم وتعاليمهم فنقوم بها، وَيُذَكِّرُ بعضنا بعضاً.

ثم رحل هذا الجيل، وجاء الجيل الذي يليه فقالوا: آباؤنا ما وضعوا هذه التماثيل في محل عبادتنا إلا لأنهم أناسٌ أطهارٌ أخيارٌ، لا

ذنوب لهم، ونحن ملوثون بالمعاصي والسيئات، فشرعوا يتقربون إليهم بالطاعات، رغبة في قيامهم بعرض أعمالهم على الله تعالى، لأنهم يستحيون من عبادة الله تعالى مباشرة وهم على دنس ورجس ونجاسة، فجعلوهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وقالوا: ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

من هنا بدأت عبادة الأصنام، وصارت الأصنام آلهة تعبد من دون الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ﴿١٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٤﴾ [نوح]. فكانت النتيجة: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ﴿١٥﴾ [نوح].

لذلك شدد الإسلام على تحريم التماثيل، وسؤال الأموات، وعلى جعل أي واسطة بين العبد وربّه، مهما كانت، حتى ولو كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا

بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ } (١).

سأله بعض الأعراب: «الله بعيد فنناديه أو قريب فتناجيه»، فنزل

قوله تعالى مباشرة بدون كلمة (قُلْ): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة].

مع أن معظم أسئلة الصحابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن ينزل

على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جواباً لها بـ ﴿قُلْ﴾، ومن ذلك:

- ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (١٠٥) [طه].

- ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

بينما في أمر الدعاء قال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة].

فلم يقل له: (قل إني قريب) حتى التبليغ بكلمة «قل» حذفها لأنها واسطة بينه وبين عباده.

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٣٩)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

■ سورة الصمد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ [الإخلاص].

وهذه السورة التي تعدل ثلث القرآن، وهو سبحانه «أَحَدٌ» لا شبيه له ولا نظير ولا مثيل ولا نِدَّ ولا مُعِين، ولا ولد، ولا والد، الكل مخلوق له، والكل يصمّد إليه في حاجته وسؤاله، وهو سبحانه لم يكن له كُفُوًا أحد.

فلماذا جعلوا له شفعاء ووسطاء وأولياء وأقطاباً؟! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، سبحانه الله وتعالى عما يشركون.

فتوحيد الله تعالى، وإفراده وَحْدَهُ بالسؤال واليقين فيه تعالى هو خير وسيلة للعبد الصالح عند الأزمات، وثبات الأقدام عند الشدائد.

وصاحب الثقة في الله تعالى صامد ثابت، قرير العين، عزيز النفس، فمن وثق بوعد الله تعالى وما عنده من خزائن، وتعلّق قلبه بذلك، وآمن بقدرته على كل شيء استقام على جادة الصواب، وتولدت عنده شجاعة تُقَوِّي قلبه على اجتياز الأزمات بجرأة وإقدام، فما الشجاعة إلا شدة القلب عند البأس.

وهكذا فإن من عَفَّ وقنع ودامت ثقته بربه، تحقّقت لديه عقيدة راسخة صحيحة في مولاه سبحانه، فيكتفي به، ولا ينظر أو يتعلّق

بسواه، فإذا به أغنى الناس باحتماؤه بربه واكتفائه به.

وسيطل ذلك دَيْدَنُ الصالحين في كل زمان ومكان، لا يلجئون لغير الله، ولا يسألون سواه، ولا يثقون إلا فيه وَحْدَهُ، مخلصين له الدِّين، ولو كره المشركون.

فمن قنع بذلك فقد حاز السعادة الكاملة، والطمأنينة التامة، وسارت خطواته في الحياة سَلِسَةً آمنة مطمئنة.

لذلك قام التوحيد في الإسلام على أسس الاستعانة والاستغاثة بالله وَحْدَهُ، واللجوء والاحتفاء به وَحْدَهُ، والتوكل والاعتماد عليه وَحْدَهُ، ورجاؤه ومحبته وخشيته وَحْدَهُ، ودعاؤه له وَحْدَهُ، فهو سبحانه له مقاليد السموات والأرض، أي جميع مفاتيح خزائن السموات والأرض له وَحْدَهُ؛ فاعبده وتوكل عليه وَحْدَهُ.

□ الدعاء هو العبادة:

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في تحفة الذاكرين: «الدُّعَاءُ هُوَ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَأَرْفَعُهَا وَأَشْرَفُهَا... تَرَكَ دُعَاءَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ اسْتِكْبَارَ وَلَا اقْبَحَ مِنْ هَذَا الْاسْتِكْبَارِ، وَكَيْفَ يَسْتَكْبِرُ الْعَبْدُ عَنْ دُعَاءِ مَنْ هُوَ خَالِقُ لَهُ وَرَازِقُهُ وَمَوْجِدُهُ مِنَ الْعَدَمِ وَخَالِقُ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَرَازِقُهُ وَمَحْيِيهِ وَمَمِيتُهُ وَمُثْبِتُهُ وَمَعَاقِبُهُ فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْاسْتِكْبَارَ طَرَفٌ مِنَ الْجُنُونِ وَشَعْبَةٌ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ» (١).

وفي الحديث: {لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ} (٢).

• والدعاء سبب في تخفيف البلاء، وغفران الذنوب لمن سأل الله المغفرة، وهزيمة الكافرين وإنزال العذاب بهم، والنصر على الأعداء، والنجاة من الظالمين وكف أذاهم، وكشف الكروب، وجلب الرزق من مال وبنين وعلم وغيره، ورفع الوباء وجلب الشفاء من الأمراض.

• والدعاء ما دام من العبادة، والمقصد منه التقرب إلى الله تعالى، فلا بد أن يكون خاضعاً لأحكام الشريعة وموافقاً لها.

(١) تحفة الذاكرين، فضل الدعاء، ص (٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، ب: ما جاء في فضل الدعاء، ح (٣٣٧٠)، وابن ماجه ح (٣٨٢٩)، والحاكم في مستدركه، ح (١٨٠١)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٩٢).

وأتباع السُّنَّة في الدعاء من أسباب قبوله، ومخالفة السُّنَّة مدعاة للوقوع في الخطأ والزَّلَّ والحمق، وسبب من أسباب التفرق والجدال والخصومة.

قال ذو النُّونِ المِصْرِيُّ: « ليكن أثر الأشياء عندك وأحبَّها إليك: إحكامُ ما افترضَ اللهُ عليك، واتقاءُ ما نهاكَ عنه، فإن ما تعبُدُ اللهُ به خيرٌ لك مما تختارُهُ لنفسِكَ من أعمالِ البرِّ التي لا تُجِبُّ عليك، وأنتَ ترى أنها أبلغُ لك فيما تُريدُ ».

❑ الدعاء عند القبور:

جواز تخصيص مكان للدعاء يحتاج إلى دليل شرعي، بل أي مكان لم يأت في الشرع تخصيصه بفضيلة الدعاء فلا يجوز لنا أن نخصه بالدعاء، ولو استشعر أن الدعاء عنده أفضل من غيره، أو أن الدعاء عنده مستجاب أو أرجى للقبول من غيرها فهذا لا يجوز، بل هو بدعة ضلالة، ومن المنكرات المحرَّمة، لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن اتخاذ عيداً، وعن الصلاة عنده بخلاف كثير من المواضع.

وقد رأى الحَسَنُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَوْمًا عِنْدَ الْقَبْرِ فَنَهَاهُمْ وَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا

يُؤْتِكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَإِنْ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغْنِي} (١).

وتقع الفتنة للداعي عند القبر إذا ظن أن للقبر تأثيرًا في إجابة دعوته وقضاء حاجته.

• وقال شيخ الإسلام تقي الدين: «فإن أكثر المصلين - في حال العافية - لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلا قليلا، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدًا، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحققة في حال هؤلاء، كان نهيمهم عن ذلك أوكد وأوكد. وهذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له ما جاءت به الحنفية من الدين الخالص لله، وعلم كمال سنة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشُّرك بكل طريق» (٢).

• وتحري الدعاء عند القبور رجاء الإجابة يجرُّ مفسد كثيرة، ويجعلها أماكن تُعْظَمُ ويُطَافُ حولها، ويُلْتَمَسُ المدد والعافية والرزق والنصر والشفاء والتوفيق من المقبورين فيها، ويجعلها أماكن لاجتماع الناس عندها واتخاذها عيدًا (كما في الموالد).

وهذا بعينه الذي نهى عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: { لَا تَتَّخِذُوا

(١) مصنف عبد الرزاق: ك: الجنائز، ب: السلام على قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٦٧٢٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٦-١٩٧).

قَبْرِ عِيْدًا، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي} (١).

• وهؤلاء الفضلاء من الصالحين من الصحابة والتابعين والأئمة في الدين إنما يُعَبَّرُ عن حُبِّهم بالاتباع وإحياء ما أَحْيَوْه من الدين، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان، ونحو ذلك، أما اتخاذ قبورهم أعيادًا، فهو مما حَرَّمَ الله ورسوله، وقصدها للدعاء والعبادة يجر مفسد كثيرة، وهو فتنة للخلق، وفتح لباب الشُّرك، فسَدُّ الذرائع مقدَّم هنا لمنع هذه المفسد وغيرها.

ولو كان تحري الدعاء عند القبور مشروعًا لورد ذلك عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثبت عنه، ولأرشده الوحي إلى قبور الرسل من قبله ليتحرى الدعاء عندها، ولتناقله أصحابه من بعده، فلا يعقل أن تصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة (قرن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه من بعده، والتابعين من بعدهم) ثم يفعله الخلف من بعدهم بدون نقل صحيح من الكتاب والسنة.

فقصده الدعاء عند القبور ضلالة ومَعْصِيَّة، ومن استحسنته فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله.

(١) أخرجه أحمد ح (٨٨٠٤)، وقال المحقق: إسناده حسن، وصححه الألباني في أحكام الجنائز رقم (١٠).

- ولم يذكر في كتب العلماء الأوائل أن الدعاء عند القبور مستجاب أو أنه مستحب، ولو كان الدعاء عند القبور أرجى من الدعاء عند غيرها لذكره العلماء الأوائل في كتبهم ومصنفاتهم.
- كما أن الأمكنة التي كان النبي ﷺ يقصد الصلاة أو الدعاء عندها سنة اقتداء برسول الله ﷺ واتباعا له، فلا تجعل فيها مكانا لقبر رسول أو نبي.
- وتحرّي الدعاء عند القبور فيه تقليد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى وتشبه بهم، فهو بدعة ضلالة.

■ أما الزيارة الشرعية للقبور فمقصودها:

١. تذكّر الآخرة والاعتّاض والاعتبار.
٢. الإحسان للميت بالدعاء لأهل القبور بالرحمة والمغفرة، وسؤال العافية، ولم يُشرع أن يدعوهم، أو يدعو بهم، أو يصلي عندهم.
٣. اعتبار الزائر بالآخرة فيحسن إلى نفسه باتباع السنة، والتوبة، والوقوف عند ما شرعه الله ورسوله.
- ودعاء الميت من دون الله من الشُّرك الأكبر، فقول الداعي عند القبر أو بعيدا عنه: يا رافعي ارحمني أو اشفني أو عافني أو ارزقني، أو

سأل أصحاب القبور النصر والولد والبركة وقضاء الديون، وتفريج الكروب، كل ذلك شرك محبط للعمل، لا فرق في الحكم بين من فعل ذلك عند القبر أو عند وثن أو صنم أو حائط أو صليب أو نار أو شمس أو شجرة أو قبر نبي أو ولي؛ لأنه استعان واستغاث بغير الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ

فإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ [يونس].

فحرامٌ على يد امتدت إليه سبحانه أن تمتدَّ إلى غيره، وحرامٌ على قلب أنس بذكره واطمأنَّ به أن يأنس بغيره، وحرامٌ على جبهة سجدت له سبحانه أن تنحني وتسجد لغيره، وحرامٌ على قدم سعت في مرضاته أن تسعى فيما يسخطه ويغضبه، وحرامٌ على لسان وحده أن يلهج بغير ذكره، وحرامٌ على جوارح سلكت في محابِّه أن تنغمس في مسأخِطه.

• ومن جعل بينه وبين الله واسطة في العبادة كالدعاء فقد عبد هذه

الواسطة من دون الله. قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فلم

يُمنع توسطهم بالأولياء إليه تعالى أن يقول إنهم اتخذونه من دونه.

فسؤال الميت والغائب نبياً كان أو غيره من المحرمات المنكرة

باتفاق المسلمين.

وطلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم هو أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فضلاً عما استغاث به، وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له أو يتوسط له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده.

• والدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً وتترك الحي القيوم والرؤوف الرحيم القدير؟!.

ومن المنكرات سؤال الله والإقسام عليه بذات الميت وليس لذلك أصل في دين الإسلام، كأن يقول: أقسمت عليك يا ربّ بالولي الفلاني، أو أن تقضي حاجتي أو تشفي مريضاً أو ترزقني أو ببركة فلان، وهذا هو التوسّل المذموم؛ إنما القسم على الله لا يكون إلا بالله تعالى وأسمائه وصفاته، أو بالأعمال الخالصة الصحيحة، وهذا هو التوسّل المشروع.

• والأنبياء وسائط بيننا وبين الله تعالى في تبليغ الرسالة، وبيان الحلال والحرام، وبيان النعيم والجحيم، وكذلك العلماء ورثة الأنبياء في تعليم الناس الدين وتبليغ ما ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذا كان المراد أنهم واسطة في جلب النفع أو دفع الضرر فهذا شرك أكبر لا يجوز.

فمن جعل الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء وسائط يتوكل عليهم، ويسألهم جَلْبَ المنافع ودفع المضارّ وغفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسدّ الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «وَأِنْ أَثْبَتَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ - كَالْحُجَابِ الَّذِينَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَرَعِيَّتِهِ - بِحَيْثُ يَكُونُونَ هُمْ يَرْفَعُونَ إِلَى اللهِ حَوَائِجَ خَلْقِهِ؛ فَاللهُ إِنَّمَا يَهْدِي عِبَادَهُ وَيَرْزُقُهُمْ بِتَوْسِطِهِمْ؛ فَالْخَلْقُ يَسْأَلُونَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونَ اللهَ؛ كَمَا أَنَّ الْوَسَائِطَ عِنْدَ الْمُلُوكِ: يَسْأَلُونَ الْمُلُوكَ الْحَوَائِجَ لِلنَّاسِ؛ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُمْ وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُمْ؛ أَدَبًا مِنْهُمْ أَنْ يُبَاشِرُوا سُؤَالَ الْمَلِكِ؛ أَوْ لِأَنَّ طَلِبَهُمْ مِنَ الْوَسَائِطِ أَنْفَعُ لَهُمْ مِنْ طَلِبِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ؛ لِكَوْنِهِمْ أَقْرَبَ إِلَى الْمَلِكِ مِنَ الطَّالِبِ لِلْحَوَائِجِ. فَمَنْ أَثْبَتَهُمْ وَسَائِطَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ يَجِبُ أَنْ يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ. وَهَؤُلَاءِ مُشَبَّهُونَ اللهُ شَبَّهُوا الْمَخْلُوقَ بِالْخَالِقِ وَجَعَلُوا اللهَ أَدَادًا» (١).

• ومن ذلك الضلال أيضًا قول الداعي: «اللهم إني أسألك بفلان الولي أن تقضي لي حاجتي، أو يقول: أنا ضيفك، أنا جارُك، أنا نزيلُك»، أو يكتب ورقة ويضعها عند المقبور، كل ذلك من البدع

والضلال، ومن فعل النصارى في كنائسهم، والمبتدعين عند قبور الأنبياء والصالحين.

• والتوسل بالعبد الصالح من غير متابعة له في الأعمال الصالحة لا يجوز أن يكون وسيلة، فهذا التزلف بذوات الأشخاص رده الله سبحانه وتعالى ولم يقبله، وقد عاب عليهم عبادة الأولياء من دونه، وعاب عليهم محاولتهم التقرب والتزلف إليه تعالى بالأشخاص والمخلوقين، فكلا الأمرين عيبٌ وذنْب، وكلاهما باطلٌ وكذب وضلال، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر].

• ومن الصور المنكرة، والبدعة الضلالة قول الداعي: (أسألك يارب بجاه المصطفى، أو بحق نبيك، أو بحق المقبور فلان، أو بحرمة الحسين، أو بمكانة السيدة نفيسة... اقض حاجتي، وارفع شدتي)، وما أشبه ذلك.

لأن العبادات مبناها على الاستئناس والاتباع، لا على الهوى والابتداع، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضَّ بَيْنُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى].

■ شبهة الرد عليها :

قد يقول قائل: لقد جَرَّبْتُ الدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين فوجدته مستجاباً.

وللردِّ على هؤلاء نقول، وبالله التوفيق:

أولاً: التجربة ليست مصدرًا من مصادر التشريع حتى نعتمد عليها، فالمسلم الصادق ليس له إلا الأسوة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء من الأشياء، وما لم يُؤثر عنه فليس لنا سبيل إليه، أما التجربة في غير مسائل الدين فلا بأس بها، بل قد تكون مطلوبة.

ثانيًا: العبادات لا تَبْتُ بمثل هذه الحكايات والمقاييس من هؤلاء المبطلين، وحجتهم في ذلك نَقْلٌ لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله.

ثالثًا: إِنَّ كَثِيرًا من المشركين كانوا يدعون الله عند أوثانهم، فيستجاب لهم أحيانًا.. وقد يكون سبب قضاء حاجة هؤلاء: أن الرجل منهم يكون مضطرًا ضرورة لو دعا الله بها مشركٌ عند وثن لا سُبُجِبَ له وإن كان تحرِّي الدعاء عند الوثن شرًّا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنُوبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ

لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ [يونس].

• وكم داع بدعاء هو فيه متعدّد، إما يطلب ما لا يصح أو بدعاء فيه معصية، فإذا حصل له بعض غرضه ظنّ أن ذلك دليل على أن عمله صالح، فهو مثل من خالف أمر الله تعالى وأمدّه الله بالمال والأولاد فظنّ أن ذلك مسارعة له في الخيرات، قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ

مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران].

رابعاً: الاجتماع عند هذه الأماكن فيه مفاسد، من الشُّرك والاختلاط بين الرجال والنساء وغيرها مما يستوجب سخط الله تعالى.

خامساً: من أين علِمَ الداعي أن استجابة الدعاء عند القبر كانت بتأثير المكان؟

ولو لا يكون سبب إجابة دعائه عند القبر أن الداعي قد يكون مضطراً واجتهد في دعائه في هذا المكان اجتهداً لو اجتهد في مكان آخر لأجيب، وقد تكون حاجته قضيت بقدر الله قبل دعائه.

سادساً: استجابة الدعاء في هذا المكان ليست دليلاً على مشروعية الدعاء عند ذلك المكان، فإن الوسائل لها حكم المقاصد، فالوسيلة التي اتخذها ليست وسيلة شرعية، وإنما هي وسيلة بدعية.

وهل يعقل إن قال لنا قائل: إن الدعاء عند الصليب أو الصنم بوذا مُستجاب ومُجرب، فهل يجوز لنا أن نفعل ما يقول؟!

فلا يمكن القول بأن بلوغ الإنسان مقصده بسبب هذه الوسيلة الخاطئة دليل على صحّة فعله.

سابعاً: قد تُقضى حاجته ابتلاءً واختباراً واستدراجاً من الله تعالى، ومكرّاً به، كما يأتي الكاهن أو العراف فيخبره بأمور وقد تُقضى بعض حاجتهم بذلك، لكن هذا لا يدل على مشروعية هذا العمل، بل هو حرام من الكبائر لثبوت النهي في السنّة على ذلك.

ثامناً: ليس كل سبب نال به الإنسان حاجته يصير مشروعاً أو مباحاً، وإن حصل به بعض الفائدة، وقد يستدلُّ بعض هؤلاء بنقل مكذوب عن بعض الأئمة والعلماء، أو بسند لا يصحُّ إليهم، أو لا يُعرف له إسناد أصلاً.

تاسعاً: غالباً من يصدر عنهم هذه الأقوال قد تعذّره الشريعة بأن يكون مسلوب العقل أو العلم، أو ساقط التمييز، أو مجتهداً مخطئاً، أو مغلوباً على ذلك.

عاشراً: أنه لم ينقل في استحباب الدعاء عند القبور شيء ثابت من الكتاب والسنّة، ولا نقل صحيح ثابت عن القرون الثلاثة التي

أثنى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها في قوله: { خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ } (١).

بل إن كثيراً من علماء الأمة أنكروا ذلك وكرهوه قديماً وحديثاً.

حادي عشر: البلاء يندفع بطاعة الله ورسوله، والإخلاص لله عَزَّجَلَّ في الدعاء، وألا يدعوا مع الله أحداً، ولا علاقة للمقبور بدفع الضر. مَنْ أطاع الله ورسوله فهو السعيد في الدنيا والآخرة والسلام من الخرافات والخزعات، وَمَنْ عصاهما فقد استحق ما يستحقه أمثاله. والثواب والعقاب مرتب على العمل الصالح الموافق للكتاب والسنة، ولا دخل للمقبور فيها، وفي الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن ولّاه: { لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شاةٌ لها ثَغَاءٌ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حِمَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ مَخْفُوقٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٣٦٥١)، ومسلم: ك: فضائل الصحابة، ب: فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ح (٢٥٣٣).

لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ { (١) }.

فمن أطاع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصى الله ورسوله فقد غوى وضلَّ ضالًّا مبينًا.

ثاني عشر: أن الدعاء عند القبور لاعتقاد النفع والضرر من المقبور من صنيع من سبق من الأمم السابقة، ولسنا ملزمين بشرع من قبلنا ما لم يوافقهُ شرعنا، بل أمرنا النبي ﷺ بمخالفتهم وعدم التشبه بهم، قال الله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝ ﴾ [الفاتحة].

□ شبهة تقبيل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحجر الأسود:

ثبت في «الصحيحين» أن عمر بن الخطاب قَبَّلَ الحَجَرَ الْأَسْوَدَ وقال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (٢).

-
- (١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: :: الغلول ح (٣٠٧٣). وأخرجه مسلم في صحيحه: ك: الإمارة، ب: تحريم الغلول ح (١٨٣١).
- (٢) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: ما ذكر في الحجر الأسود، ح (١٥٩٧)، ومسلم: ك: الحج، ب: استجاب تقبيل الحجر الأسود، ح (١٢٧٠).

وَفِعَلَ عَمْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَرْسَ عَمَلِيٍّ لِلأُمَّةِ يَتِمُّثَلُ فِيهَا يَلِي:

أولاً: ترسيخ مفاهيم العقيدة الصحيحة، وأن النفع والضرر بيد الله وَحْدَهُ.

ثانياً: التسليم المطلق بالاتباع للشرع الحنيف، فمن جاء به لا يَنْطِقُ عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثالثاً: أن هذا الحَجَرَ من حِجَارَةِ الجَنَّةِ، وقد ورد ذلك في أحاديث صحيحة.

رابعاً: فيه إشارةٌ إلى حُسْنِ الاتِّبَاعِ فيما لم يُكْشَفْ عن معانيه، ولو لم يَعْلَمْ الحكمة فيه.

خامساً: فيه دليل على حرمة وكرهية تعظيم الأحجار الأخرى والشجر والحديد والنحاس وغيره، كما كانت تفعله الجاهليَّة في الأوثان، لأن النفع والضرر بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه تعالى هو النافع والضارُّ، وأن الأحجار لا تنفع من حيث هي كما كانت الجاهليَّة تعتقد في الأصنام.

سادساً: الحَجَرُ الأسود والركنُ اليمانيُّ على قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس للركنين الآخرين شيء منهما.

سابعاً: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ} (١)،

(١) أخرجه مسلم: ك: الحج - ب: استجاب رمي جرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ}، ح (١٢٩٧).

لذا نترك ما ترك، ونفعل ما فعل، ونُقرِّ ما أقرَّ، ولا حُجَّة لأحد مع فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله؛ لذا قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس» (١).

ثامناً: لذلك لا يُشرع تقبيل مقام إبراهيم أو استلامه، لأن المأمور به الصلاة عند مقام إبراهيم، ولا نُؤمِّر بمسحه أو تقبيله، فالمشروع الصلاة عنده واتخاذة قبلة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَوْضِعٌ يُشْرَعُ تَقْبِيلُهُ وَاسْتِلامُهُ، وَتَحْطُّ الْخَطَايَا وَالْأَوْزَارُ فِيهِ غَيْرَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ» (٢).

■ التمسح بالقبور وتقبيلها :

شرع لم يأذن به الله تعالى وعبادة لم يشرعها الله عَزَّوَجَلَّ، حيث إن تقبيل هذه الأماكن على وجه التبرك عبادة، والعبادة مبناهما على الاتِّباع لا الابتداء، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ،

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٦/١).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/٤٩).

فَهُوَ رَدٌّ { (١)، وفي لفظ: { من عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ } { (٢).
بل هو من باب: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلِيهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ
مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

لذلك ينبغي أن تكون أعمال المكلفين كلها موافقة لأحكام
الشريعة، خالصة لله تعالى لتكون مقبولة، وما كان خارجاً عن ذلك
فهو مردود غير مقبول.

وتعظيم القبور والتمسُّح بها داخلٌ في اتخاذها عيداً، وفي ذلك نهيه
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: { لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِ عِيْدًا، وَلَا تَجْعَلُوا يَبُوتَكُمْ
قُبُورًا، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي } { (٣).

• والنهي عن ذلك لأنه قد يفضي إلى الجهل وتقليد ما كان عليه
الأمم السابقة من عبادة الأوثان، فكان في المنع من ذلك قطع للذريعة
المفضية إلى الفساد، وذلك هو المناسب لأن دفع المفسد باعتبار
نفسها أو ما يفضي إليها هو المقرَّر شرعاً، سدّاً للذرائع المؤدية للشرك.

(١) أخرجه البخاري: ك: الصلح، ب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود
(٢٦٩٧)، ومسلم: ك: الأقضية، ب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح
(١٧١٨).

(٢) سبق تحريجه، ص (٧).

(٣) سبق تحريجه، ص (٩٩).

والشرع لم يرد بإباحة تقبيل القبور أو التبرُّك بها أو عندها، لا في آية ولا حديث، ولا أثر مرفوع أو موقوف، وهذا يدل على أن القول باستحباب تقبيل القبور واستلامها مخترع مبتدع ضالٌّ، ولم يرد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبَّلَ قبر نبيٍّ من الأنبياء قبله أو تَمَسَّحَ به.

• قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ نَقْلًا عن الإمام أبي الحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقِ الزَّعْفَرَانِيِّ فِي كِتَابِهِ فِي الْجَنَائِزِ: «وَلَا يَسْتَلِمُ الْقَبْرَ بِيَدِهِ وَلَا يُقَبِّلُهُ، وَعَلَى هَذَا مَضَتْ السُّنَّةُ... وَاسْتِلَامُ الْقُبُورِ وَتَقْبِيلُهَا الَّذِي يَفْعَلُهُ الْعَوَامُّ الْآنَ مِنَ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُنْكَرَةِ شَرْعًا يَنْبَغِي تَجَنُّبُ فِعْلِهِ وَيُنْهَى فَاعِلُهُ... فَإِنَّ ذَلِكَ عَادَةُ النَّصَارَى» (١).

• وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: «وإذا زار قبرًا لا يضع يده عليه ولا يقبله فإنها عادة اليهود» (٢).

• وقال الغزالي: «وليس من السُّنَّةِ أَنْ يَمَسَّ الْجِدَارَ، وَلَا أَنْ يَقَبِّلَهُ، بَلِ الْوُقُوفُ مِنْ بَعْدِ أَقْرَبَ لِلْاحْتِرَامِ» (٣).

وقال: «فإن المسَّ والتقبيل للمُشَاهِدَةِ عَادَةُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى» (٤).

(١) المجموع شرح المذهب، للنووي (٥ / ٣١١).

(٢) الغُنيَّة (١ / ١٩٨).

(٣) إحياء علوم الدِّين، للغزالي (١ / ٢٥٩).

(٤) المصدر السابق (١ / ٢٧١).

• وقال المقرئ الميرزي رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
سَتَعْبُدُ﴾ [الفاتحة]:

« تضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات، فالشُّرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى، والطواف بغير بيته الحرام، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها، وقد لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ اتَّخَذَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ فكيف من اتخذ القبور أوثاناً تُعْبَدُ من دون الله؟ » (١).

• وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: « وأما طوافُ الزائر بقبر الميت وتقبيلُه الأركانَ وسؤالُ الحاجات منه وعنده فهي عبادة المشركين للأصنام » (٢).

• وقال الشيخ حسن مأمون مفتي مصر الأسبق في سؤال وجَّه إليه: ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة، والطواف بالمقصورة والتوسل بالأولياء؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: « أود أن أذكر أولاً أن أصل الدعوة الإسلامية

(١) تجريد التوحيد، للمقرئ، ص (١٩).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء، وما لهم من الكرامات والألطاف، ص (٩٩).

يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب جاهداً كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشُّرك بالله، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق، وهي رواسب جاهليّة، فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما أنكر عليهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادتهم للأصنام قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وهي نفس الحجّة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء، ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى كليّة مع عبادات إسلاميّة ثابتة: فالطواف في الإسلام لم يشع إلا حول الكعبة، وكل طواف حول أي مكان آخر حرام، والتقبيل في الإسلام لم يُسنّ إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله: « والله لولا أني رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلك ما فعلت » فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أي مكان به حرام قطعاً» (١).

• وليس التمسح بالقبور وتقبيلها من تعظيم شعائر الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج]، وهذه الآية وردت في شعائر الحج ومناسكه، قال ابن عباس

(١) من مجلة الإذاعة المصريّة (١١ / ٢ / ١٣٧٧هـ)، ونقلها محمد الرفاعي في كتابه «التوصل إلى حقيقة التوسل»، ص (٣٤٣).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الْبُدْنُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»، وقال محمد بن أبي موسى: «الوقوف بعرفة ومزدلفة والجمار والرمي والحلق والبُدن من شعائر الله».

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «هَذَا ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: أَوَامِرُهُ، ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُ الْهَدَايَا وَالْبُدْنِ» (١).

• وقول الرافضة الذين أثاروا هذه الشبهة تراهم هم الذين عطّلوا شعائر الله من: اختصار الصلاة إلى ثلاثة، ومنعوا الأذان وعطّلوا الجمعة وصلاة الجماعة والعيد والجهاد في سبيل الله وقيام رمضان والحج والعمرة، غير بدعهم المشهورة يوم مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى غير ذلك مما بدّلوه في دين الله عَزَّوَجَلَّ.

• ويزعمون كذباً أن المسجد الحرام به قبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا لم يرد في كتاب أو سُنَّة أو حتى على لسان أحد من سَلَفِ الْأُمَّةِ، فهو ادّعاء باطل وضلال.

ولقد حذّرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الْحَدِيثِ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُفِّرْنَا فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/٤٢١).

الدين} (١).

وأصل التعظيم لشعائر الله موافقة ما يحبه الله تعالى ويرضاه من السجود له وحده، والطواف حول الكعبة له وحده، وكذلك موافقة ما يحبه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكرهه ما يكرهه، هذا هو التعظيم الذي يُحبه الله ويرضاه، ويثني على فاعله.

أما التعظيم الذي يكرهه ويُبغضه ويدُمُّ فاعله، فهو الغلو: كالانحناء عند القبور، وتقبيل الأرض والجدران، والتماس البركة هناك، فهذا منهى عنه، وتكون البركة فيما يوافق الشرع الحنيف.

لذلك نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه عن السجود له، ومنعهم من ذلك؛ لأن السجود لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فلا يسجد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته ولا له بعد موته عند قبره، لأن السجود عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى، ولا تُصرف إلا له، فمن صرفها لغير الله فهو ضالٌّ مشرك.

ولقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغلو فيه، ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا تُطْرُونِي - يعني: لا تزيدوا في مدحي - كَمَا أَطَرْتُ

(١) أخرجه النسائي: ك: مناسك الحج، ب: النقاط الحصى، ح (٣٠٥٧)، وابن ماجه: ك: المناسك، ب: قدر حصى الرمي، ح (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، ح (٢٦٨٠).

النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ { (١) }.

والإطراء: هو المبالغة في المدح، والنهي عن إطرائه لا يعني التقليل من قدره ومكانته، لأن للتوقير وللتعظيم وسائله المشروعة من: الصلاة والسلام عليه، والتمسك بسنته وإحيائها عند فساد الناس وهجرهم لها.

• والغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذهم أندادا لله من خلقه، واعتقاد أنها تملك شيئا من خصائص الألوهية.

فإن لمس القبر أو وضع اليد عليه ذريعة إلى تعظيمه، والتمسح به ذريعة إلى الشرك؛ فحرّم ذلك سدا للذريعة.

• فالتعظيم إنما هو تعظيم أمر رسوله ونبيه، والاهتداء بهديّه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه.

والذين يعظمون القبور من أقل الناس تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم يعظمون ما لا يعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه كره تعظيم

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ (٣٤٤٥).

القبور والبناء عليها، والصلاة عندها، والتبرُّك بها، وهم قد شرعوا عندها عباداتٍ لا تُصَرَفُ إلا لله تعالى كدعاء أهلها، والاستعانة بهم، والاستغاثة بهم، والنَّذْرُ لهم، والدَّبْحُ لأهلها، والطواف حولها كما يطاف حول بيت الله الحرام.

فأي الفريقين أولى بتعظيم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الذين اتَّبَعُوهُ قولاً وعملاً أم مَنْ خالفوا أمره وخرجوا عن شريعته وتَنَكَّبُوا سُنَّتَهُ؟! • وهل شدَّةُ الشَّوْقِ والمَحَبَّةِ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحمل على مخالفة الشرع المطهر، أم أنها تحمل على اتِّباع السُّنَّةِ، والتقيُّد بما جاء فيها، وتقديمها على كل محبوب للنفس؟

والتبرُّك في اللغة: التيمُّن، وهو طلب البركة ورجاؤها واعتقادها.

وفي الشرع: هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر.

والبركة كلها من الله تعالى وَحْدَهُ من: [الرزق، والنصر، والعافية، والأولاد، والتوفيق، والشفاعة]، فهو مالٌ كها وواهبها، وهو سبحانه الجالب للرزق والنصر والعافية، الدافع للشرِّ والبلاء.

لذلك فطلب البركة من شيء لا بد فيه من إذن للشارع عَزَّوَجَلَّ، وبيان الدليل الشرعي عليه، لأنه دين، والدين مبني على النقل لا

التجربة والعقل.

إن ما يُتبرَّك به من الأقوال والأفعال التي جاء بها الشرع إنما هو سبب للبركة، كما أن ما يُتداوى به من الأدوية والرقى الشرعية سبب للشفاء، والبركة والشفاء من الله عزَّ وجلَّ.

• التبرُّك لا ينفع إلا الإنسان المؤمن الصالح، فلم ينفع عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين - بركة قميص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كَفَّنَه به وصلى عليه، وأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ (٨٤) [التوبة] (١).

وللتبرُّك بأثار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابد لنا من معرفة:

١- صحة نسبة الآثار المنسوبة إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- أن التبرُّك مقصور على آثار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط ولا يتعداه إلى سواه، حيث إن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك، لا مع الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولا الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولا من جاء بعدهما رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري: ك: اللباس، ب: لبس القميص، (٥٧٩٦)، ومسلم: ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم: (٢٤٠٠).

وفتح باب التبرُّك لغير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَبِّبُ فِتْنًا كَثِيرَةً، فَكَانَ سَدُّهُ أَوَّلَى.

٣- ورد في الأحاديث التبرُّك بِعَرَقِهِ وَشَعْرِهِ وَرِيقِهِ وَفَضْلِ وَضُوئِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْأَحَادِيثِ التبرُّك بِقَبْرِهِ.

• عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ { أَنْ لَا تَدْعَ تَمَثَّلًا إِلَّا طَمَسَتْهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ } (١).

وَرَأَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَسَطَّاطًا عَلَى قَبْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: «انْزِعْهُ يَا غُلَامٌ، فَإِنَّمَا يُظْلَهُ عَمَلُهُ» (٢).

• عَنْ أَبِي وَقِيدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا هُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ * وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ

(١) أخرجه مسلم: ك: الجنائز، ب: الأمر بتسوية القبر، ح (٩٦٩).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً وجزم به. ك: الجنائز، ب: الجريد على القبر.

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ} (١).

وعن نافع قال: «كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت» (٢).

• قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ حول الحكمة من إخفاء تلك الشجرة: « وَهُوَ أَنْ لَا يَحْصُلَ بِهَا افْتِتَانٌ لِمَا وَقَعَ تَحْتَهَا مِنَ الْخَيْرِ فَلَوْ بَقِيَتْ لِمَا أُمِنَ تَعْظِيمُ بَعْضِ الْجُهَّالِ لَهَا حَتَّى رُبَّمَا أَفْضَى بِهِمْ إِلَى اعْتِقَادِ أَنَّ لَهَا قُوَّةَ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ كَمَا نَرَاهُ الْآنَ مُشَاهِدًا فِيمَا هُوَ دُونَهَا » (٣).

• وقد اتفق الناس سابقهم ولأحقهم أولهم وآخرهم من لدن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين، إلا غلاة الصوفية المغالين، والشيعية العادلين عن الحق إلى الضلال.

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الفتن، ب: ما جاء لتركن سنن من كان قبلكم، ح (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي في الكبرى، ح (١١٢١)، وأحمد، ح (٢١٨٩٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٥)، وصحَّحه سنده الحافظ في الفتح (٤٤٨/٧).

(٣) فتح الباري (١١٨/٦).

وقد نصَّ العلماء رحمهم الله في كتبهم على وجوب إزالة ما يكون سبباً أو وسيلةً للشُّرك، فقد هدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد الضرار الذي كان يُتخذُ قاعدةً لأهل النفاق في تأمرهم على المسلمين.

• قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين: من شجرة، أو عمود، أو وثن، أو قبر، أو خشبة، أو غير ذلك. والواجب هدمُ ذلك كله، ومحو أثره» (١).

و يجب على وليِّ الأمر أو نائبه أن يهدم هذه المشاهد التي بُنيت على القبور التي اتُّخذت أوثاناً.

وقال الإمام الألويسي رَحِمَهُ اللهُ: «إن مشايخ المذاهب الأربعة جزموا بوجوب هدم القباب» (٢).

■ النذر والذبح عند القبور:

«والنذر أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر» (٣)، أو «هو التزام قرينة لم تتعَيَّن» (٤).

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/٢٠٩).

(٢) غاية الأمان في الرد على النبهاني، للألويسي (٢/٤٤٣)، نقلاً عن الشيخ عبد اللطيف: في كتابه (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس).

(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني (٧٩٧).

(٤) إرشاد الساري، للقسطاني (١٤/١٠١).

وَالنَّذْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا نَذْرُ طَاعَةٍ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ} (١).

• قال الحافظ ابن حجر: «والخبر صريح في الأمر بوفاء النذر إذا كان في طاعة، وفي النهي عن ترك الوفاء به إذا كان في معصية» (٢).

فمن نذر صلاة أو صوماً أو صدقة فعليه أن يوفي، وإن نذر ما ليس بطاعة مثل: النذر لبعض المقابر والمشاهد وغيرها شمعاً أو نفقة أو كسوة أو غير ذلك، فهذا نذر معصية لا يجوز الوفاء به مطلقاً، وكذلك من نذر فعل المعصية: كشرب الخمر، والزنا وسائر المحرمات، كل ذلك نذر محرّم لا يجب الوفاء به.

قال تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ﴿٧﴾ [الإنسان].

والآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر في الطاعات.

وقد بوّب البخاري: باب إثم من لا يفي بالنذر.

وقد عدّ ابن حجر الهيثمي عدم الوفاء بالنذر في الطاعات من الكبائر، وقد ورد الذم في نذر البخل لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ} (٣)، وهو نذر المجازاة أو

(١) أخرجه البخاري: ك: الأيمان والنذور، ب: النذر في الطاعة، ح (٦٦٩٦).

(٢) فتح الباري (١١/٥٨٢).

(٣) أخرجه مسلم: ك: النذر، ب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً، ح (١٦٣٩).

المعاوضة، مثل أن يقول: إن شفى الله مريضى فعلى صدقة كذا وكذا، وهو نهى عن الكراهة، كما ذكره القرطبي رَحِمَهُ اللهُ.

• وسأل رجل من بني كعب عبد الله بن عمر، إنَّ ابني كان بأرض فارس فيمن كان عند عمر بن عبيد الله وإنه وقع بالبصرة طاعون شديد، فلما بلغ ذلك نذرت إن الله جاء بابني أن أمشي إلى الكعبة فجاء مريضاً فمات، فما ترى؟ فقال ابن عمر: أولم تُنْهَوْا عَنِ النَّذْرِ، إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { النَّذْرُ لَا يُقَدَّمُ شَيْئاً وَلَا يُؤَخَّرُ فَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ } (١).

• والنذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى كأن يصرفها لمقبور أو جن أو ساحر، أو لغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا﴾ [البقرة: ٢٧٠].

قال صديق حسن خان بعد ذكر الآية: «وإذا علمت ذلك فهذه النذور الواقعة من عباد القبور، تقرباً إليهم ليقضوا لهم حوائجهم،

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٨٣٧) بهذا اللفظ، وقال صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه مسلم بدون التفصيل، ك: النذر، ب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً، ح (١٦٣٩).

أو ليشفعوا لهم، شرك في العبادة بلا ريب» (١).

وفي الحديث السابق: { مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ } دليل على أن هناك نذر مَعْصِيَةٍ لا يجوز الوفاء به، فالنذر يجب أن يبتغي به وجه الله، فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً من كل الشوائب والنظائر، ولا يرى فيه إلا الله وحده، وابتغى به وجهه والأجر منه سبحانه.

• ولا يجوز النذر فيما فيه تعذيب للنفس أو عائد عليها بالضرر، كما نذر أبو إسرائيل، أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مُرُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيَمِمْ صَوْمَهُ } (٢).

فأبطل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النذر الذي كان فيه إتلاف للنفس وتعذيب لها، وكيف أبقى على النذر الصحيح كالصوم ونحوه. وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَيْخًا يُهَادِي بَيْنَ ابْنَيْهِ، فَقَالَ: { مَا بَالُ هَذَا؟ } قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: { إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ }، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ (٣).

(١) الدِّينُ الْخَالِصُ (٢/ ٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الأيمان والنذور، ب: النذر فيما لا يملك وفي مَعْصِيَةٍ (٦٧٠٤).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: من نذر المشي إلى الكعبة، ح (١٨٦٥)، ومسلم: ك: النذر، ب: من نذر أن يمشي إلى الكعبة، ح (١٦٤٢)، واللفظ له.

• قال العزُّ بنُ عبد السلام: «لا يصح التقرب بالمشاقِّ، لأنَّ القُربَ كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عَيْنُ المشاقِّ تعظيمًا ولا توقيرًا» (١). أما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حجة الوداع: {إِنَّ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدَرٍ نَصَبِكَ وَنَفَقَتِكَ} (٢).

ذلك لأنَّ المكلف ليس له أن يقصد المشقة في العمل نظرًا إلى عِظَمِ أجرها، ولكن أن يقصدَ العملَ الذي يَعْظُمُ أجره لِعِظَمِ مشقَّته (كالجهاد، وطول قيام الليل). فالأجرُ على قَدَرِ منفعة العمل ومصلحته وفائدته، لا على قدر المشقة.

• والنَّذرُ للموتى من الأنبياء والمشايخ والأولياء وغيرهم، أو لقبورهم شرك ومَعْصِيَة لله تعالى، وفيه تشبُّه بمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأوثان.

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ: {إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ}. فَإِذَا كَانَ النَّذْرُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ فَكَيْفَ بِالنَّذْرِ لِلْمَخْلُوقِ»، ... وقال أيضًا: «فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّذْرَ لِلْمَخْلُوقِينَ يَحِلُّبُ

(١) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام (١/ ٣٦).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الحج، ب: بيان وجوه الإحرام، ح (١٢١١)، واللفظ للحاكم في مستدركه، ح (١٧٣٣).

لَهُ مَنفَعَةٌ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَضَرَّةٌ فَهُوَ مِنَ الضَّالِّينَ كَالَّذِينَ يَطْنُونَ أَنَّ عِبَادَةَ
الْمَخْلُوقِينَ تَجْلِبُ لَهُمْ مَنفَعَةٌ أَوْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ مَضَرَّةٌ» (١).

ومن قال إنه يشفي (أي المقبور) مثل نذره فهو كاذب، يجب أن
يتوبَ ويُستتابَ، كمن صام لغير الله، وسجد لغير الله، وحجَّ إلى قبر
من القبور، وكل ذلك شركٌ لا خلاف عليه.

فجميع أنواع العبادات يجب أن تُصَرَفَ لله تعالى وَحْدَهُ (كالسجود،
والعبادة، والتوكل، والتقوى، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح
والتهليل، والطواف بالكعبة، والدعاء) لا يصلح ولا ينبغي أن تُصَرَفَ
لسواه، سواء أكان ملكًا مقربًا، أم نبيًّا مرسلًا.

والنذر للمخلوق نوع من الاستغاثة به، فاستغاثوا بمن لا يُبدي
ولا يُعيد، ولا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا.

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «النذر بالمال للميت ونحوه، والنحر على
القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله
الجاهليَّة، وإنَّما كانوا يفعلونه لما يسمُّونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما
يسمُّونه وليًّا وقبرًا ومشهدًا، والأسماء لا أثر لها ولا تغيِّر المعاني ضرورة
لغويَّة وعقليَّة وشرعيَّة، فَإِنَّ مَنْ شَرَبَ الْخَمْرَ وَسَمَّاهَا مَاءً (أو مشروبًا

روحياً، أو بيرة أو..)، ما شرب إلاَّ خمرًا، وعقابه عقابُ شارِب الخمر، ولعلَّه يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية» (١).

وقال في موضع آخر: «إن قلت: هذا أمرٌ عمَّ البلاد، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبق الأرض شرقًا وغربًا، ويمناً وشامًا، وجنوبًا وعدنًا، بحيث لا تجد بلدةً من بلاد الإسلام إلاَّ وفيها قبورٌ ومشاهدٌ وأحياءٌ، يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها، ويبتغون بأسمائها ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها ويُلْقون عليها الأوراد والرياحين، ويُلْبِسونها الثياب، ويصنعون كلَّ أمر يقدرُون عليه من العبادة لها، وما في معناها من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها. ولا يَسَعُ عقلٌ عاقل أن هذا منكراً يبلغُ إلى ما ذكرت من الشَّناعة، ويسكتُ عليه علماءُ الإسلام الذين ثبَّت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا.

قلت: إن أردتَ العدلَ والإنصافَ، وتركتَ متابعة الأسلاف، وعرفتَ أنَّ الحقَّ ما قام عليه الدليلُ، لا ما اتَّفَق عليه العوالمُ جيلًا بعدَ جيلٍ، وقبيلًا بعدَ قبيلٍ، فاعلم أنَّ هذه الأمور التي تُدْنِدُنْ حَوْلَ إنكارِها، ونسعى في هدمِ منارِها، صادرةٌ عن العامة الذين إسلامهم

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (٦١).

تقليدُ الآباء بلا دليل، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دَبر وقبيل» (١).
 وقول الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «وتركت متابعة الأسلاف» إشارة منه إلى
 نبذ العوائد الضالة، والاعتقادات المنحرفة التي درج عليها الجيل بعد
 الجيل حتى صارت عند بعض الناس كالنصوص من الكتاب والسنة.
 • ويقول الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «فلا شك ولا ريب أن السبب
 الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زينهُ الشيطانُ
 للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجسيصها وتزيينها
 بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإنَّ الجاهل إذا وقعت عينه على
 قبر من القبور قد بُنيت عليه قبة فدخلها، ونظر على المقبور الستور
 الرائعة، والسُّرَج المتألئة، وقد سطعت حوله مجامرُ الطيب، فلا شكَّ
 ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصوُّر
 ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه
 من العقائد الشيطانية، التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين،
 وأشدَّ وسائله إلى ضلال العباد، ما يُزلزلُه عن الإسلام قليلاً قليلاً،
 حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه،
 فيصير في عداد المشركين» (٢).

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (٧٦).

(٢) الدر النضيد، للشوكاني، ص (١١٣).

• ومن هنا تُدرك عظمة الشريعة في النهي عن البناء على القبور وتخصيصها، والكتابة عليها، والصلاة عندها، وشدّ الرِّحال إليها، لأنها ذريعة إلى عبادتها من دون الله تعالى، والواقع يشهد ذلك.

ولا نذر في معصية الله تعالى، ولا في قطيعة رحم، ولا فيما لا نملك.

• عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَخَوَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ بَيْنَهُمَا مِيرَاثٌ فَسَأَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ الْقِسْمَةَ فَقَالَ: لَيْتُنِي عُذْتُ سَأَلْتَنِي الْقِسْمَةَ لَا أَكَلِمُكَ أَبَدًا وَكُلُّ مَالِي فِي رِتَاجِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الْكَعْبَةَ لَغَنِيَّةٌ عَنْ مَالِكَ، كَفَّرُ عَنْ يَمِينِكَ وَكَلَّمُ أَخَاكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { لَا يَمِينَ عَلَيْكَ وَلَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ الرَّبِّ وَلَا فِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَلَا فِيمَا لَا تَمْلِكُ } (١).

وإذا كان هذا في الكعبة فغيرها من المشاهد والقبور أولى.

• وقد حكى الشيخ الصديق حسن خان الإجماع على بطلان النذور والذِّباح للأضرحة حيث قال: «باب في إجماع علماء المذاهب الأربعة، وكُفر من يدعو غير الله، وبطلان النذور والذِّباح للأضرحة» (٢).

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، ح (٧٨٢٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَجْرِ جَاهُ، وابن حبان في صحيحه، ح (٤٣٥٥).

(٢) الدِّين الخالص، لصديق حسن خان (٩٧/٤).

ونقل الشوكاني الإجماع على أن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي قبور بعض الصالحين قائلاً: ياسيدي فلان إن ردَّ الله غائبي أو عوفي مريض فلنك كذا وكذا، باطل إجماعاً^(١)، ثم ذكر أن بعض الناس يعتقد في الميت بأنه بتصرّف في الأمر وقال: «واعتقاد هذا كفر».

وقد انتشر ذلك عن طريق بعض المتصوّفة الذين يزعمون أن الكون بيد الأقطاب الأربعة أو غيرهم، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ ثِقَالِ ذَرْقٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [سبأ].

• ولا شك أن النذر لهذه الأماكن باطل غير منعقد، والفتوى على أن من نذر أن يذبح لغير الله فقد أشرك، ويحرم عليه الوفاء، وتجب عليه التوبة من الشُّرك وفروعه.

والنذر لغير الله مع ما فيه من الشُّرك هو إهانة للعقل البشري، ومسخُّ للدماغ والتفكير السليم، ومخالف للفطرة الربانية الصحيحة المستقيمة، ودليل على اعوجاجها ولا يلجأ إليه إلا من اتخذ من أصحاب العقول الضعيفة ومن دراويش الصوفيّة، ومن حذا حذوهم من المبتدعة المحسوبيين على أمة الإسلام، فيطلبون من ذلك المقبور الشفاء، وقضاء

(١) الدر النضيد، للشوكاني، ص (٤٠)، وحاشية ابن عابدين (٢/ ٤٣٩).

الحاجات، وردّ الغائب، وما شابه ذلك من أنواع العبادات التي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك، فضلاً عن أن هؤلاء المقبورين مجتمعين أو متفرّقين لا يقدرّون على قضائها أو تحقيقها لطالبيها، لأنها من خصائص الألوهية المحضة.

• ومن الطامة أن بعض جهلة المسلمين تعدّ ذلك الحدّ فذهب إلى قبور النصاري وكنائسهم وأديرّتهم يضع الأموال في صناديق النذور، يستعين بهم على قضاء الحاجة، وتفريج الكرب، والشفاء من بعض الأمراض، أو للتداوي من أعمال السحر وغيرها، وذلك إمعاناً في الضلال والشرك، وقد يستغل بعض القساوسة في الكنائس جهل أولئك السذج فينشرون الإشاعات والأكاذيب، ويروّجون لمعتقدهم الفاسد بين هؤلاء، ويزيّنون للجّهال، وقد كثر ذلك في النساء خاصة، وقد وقع بعضهم في الزنا والمساومة على العرض، ناهيك عن الشرك والكفر.

ومن أمثلة من يفعل ذلك من جهلة المسلمين من ينذر لماري جرجس أو مريم العذراء، أو يتبرّك بشجرتها المزعومة، أو غير ذلك.

• يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن نذر لقبر من قبور النصاري فإنه يُستتاب بل كل من عظم شيئاً من شعائر الكفار مثل

الْكَنَائِسِ أَوْ قُبُورِ الْقِسْيَسِينَ أَوْ عَظَمِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ يَرْجُو بَرَكَتَهُمْ فَإِنَّهُ كَافِرٌ يُسْتَتَابُ» (١).

* ومما لا شك فيه أن الأفعال والأقوال الشَّرَكِيَّة التي يفعلها الجهَّال والضَّالَّال من المسلمين عند القبور قد سَرَتْ إِلَيْهِمْ من اليهود والنصارى أتباعاً لستَّهم وتشبُّهاً بهم، ولقد حَذَرْنَا الرِّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك وتبَّأ به في قوله: { لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ }، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: { فَمَنْ } (٢)، يعني: فمن القوم إلا هم؟!.

• والنَّذْر لغير الله من الشَّرْك الاعتقادي، لأن الناذر لم ينذر هذا النَّذْر (لغير الله تعالى) إلا لاعتقاده في المندور له بأنه ينفع ويضرُّ، ويُعْطَى وَيَمْنَع، إما بطبعه أو بقوة سلبية فيه، ويجلب الخير ويدفع الشرَّ والسوء، فماذا بقي لله تعالى عند هؤلاء؟!.

والدليل على فساد اعتقاد هؤلاء أنك تجدهم يقولون: أنهم وقعوا في شدائد، فنذروا نذرًا لفلان الولي فانكشف كربهم، وزالت شدتهم، واستراحوا خواطرهم، فقد قام في نفوسهم أن هذه النذور هي السبب

(١) مختصر الفتاوى المصرية، ص (٥٥٢).

(٢) سبق تخريجه.

في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم، ومن تدبّر وتأمل هذا يجده مساوياً لما جعله المشركون لأصنامهم وآلهتهم، في قوله تعالى: ﴿هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا الشُّرْكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] (١).

■ **بدعة كسوة القبور:** وسترها بالقماش وغيره ليس مشروعاً في الدين، وبيع الكسوة القديمة قطعةً لقطعاً للعوام والزائرين استغلالاً، وأكل أموال الناس بالباطل.

فإن كان الإسلام لم يُبيح كسوة الجدران في البيوت فمن باب أولى كسوة القبور.

ولقد عدّها الشيخ علي محفوظ من البدع فقال: «ومن البدع الستور على الأضرحة ووضع الشيلان والعمائم على تابوت الأولياء والعلماء، وهذا من صرف المال لغير غرض شرعي، وعبث وتضليل البسطاء من العامة، ولقد نهى النبي ﷺ عن كسوة الحجارة والطين، وهذه الستور جعلت ليتنفع بها الأحياء فاستعمالها في ستر الجهاد تعطيل وعبث» (٢).

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق، ص (٣٨٢) بتصرف.

(٢) الإبداع في مضارّ الابتداع، لعلي محفوظ، ص (١٩٩).

• ووضع السُّتور بدعة ضلالة، لم يفعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أصحابه الكرام، ولا أحد من السلف الصالح، وقد أجمع المسلمون على أنه ليس من دين الإسلام.

ويقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد أقبل المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين، وتنافسوا في تشييد الأضرحة حتى أصبحت تُبنى على أسماء لا مسميات لها، بل قد بنيت على ألواح الخشب وجثث الحيوانات ومع ذلك فهي مزارات مشهورة معمورة تُقصد لتفريج الكرب، وشفاء المريض، وتهوين الصعاب، ووقع المحذور».

• ويقول الشيخ أبو الوفا درويش رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن القبور التي أقيمت في القاهرة وغيرها من المدن الإسلامية، والقرى باسم أهل البيت وغيرهم من الأولياء والصالحين، لا عظة في زيارتها، ولا اعتبار ولا هداية ولا أذكار، إنما العظة في زيارة القبور الشرعية اللاطئة بالأرض، المجردة من كل زينة وصورة وقبة وثوب، وعمامة وتابوت وسدنة ومسجد، العظة في تلك الأجداث الهامدة المغبرة... التي تُشْعِرُكَ بأن هذا العظيم أو ذاك أصبح رفاتًا سحيقًا، وصعيدًا جرزًا، لا في تلك التي تُوسوس إليك أن ساكنها صار بطلاً مقصودًا، أو إلهًا معبودًا، تلك التي صارت أصنامًا وأوثانًا وطواغيت تُدعى

من دون الله، ويرجى منها ما لا يرجى إلا من الله.

فواجبٌ أن تسوّى هذه القبور بالأرض حتى تصبح قبورًا شرعيةً تحصل العظة بزيارتها، فإذا عجزنا عن هدمها وتسويتها بالأرض فلا أقل من أن نتجنب زيارتها، وكيف تحصل العظة، وتأتي العبرة بأوثانٍ قائمة، وأصنامٍ منصوبة تخدمها السّدنة، ويطوف من حولها العابدون؟!» (١).

• ويكذبون على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أكاذيب سخيفة يضحك بها السّدنة على عقول العوام، وهي أحاديث باطلة، يتبوؤون بها مقعدًا في النار، منها على سبيل المثال: «إن الله وكل بكل قبر ولي ملكًا يقضي حوائج الناس»، ومن العَجَبِ العُجاب أنك قد تجد هذا الحديث في بعض الكتب التي كانت تدرس للتلاميذ في المعاهد الأزهرية، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

• وصدق شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عندما قال: « والشُّرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا: كل من كان عن التوحيد والسُّنة أبعد، كان إلى الشُّرك والابتداع والافتراء أقرب » (٢).

• إن إنكار ما يحدث عند قبور الأنبياء والصالحين، لا يحطُّ ذلك

(١) صيحة الحق، ص (٩٥ - ٩٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٨١).

من مكانتهم، بل الواجب نحوهم أن نحَبَّهم في الله تعالى، ونؤيد دعوتهم، ونسلك سبيلهم.

لكننا نُنكِرُ على من يرفعهم فوق منزلتهم، ويدعوهم من دون الله، وهو يحسب أنه يُحِبُّهُمْ ويواليهم، وهو في الحقيقة من أعدى أعدائهم، بل إنهم يكرهون الأفعال التي تحدث عند قبورهم، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف].

• يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن أهل القبور من الأنبياء والصالحين المدفونين، يكرهون ما يفعل عندهم كل الكراهة، كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يكره ما يفعل النصارى به.... فلا يحسب المرء المسلم أن النهي عن اتخاذ القبور أعيادًا وأوثانًا فيه غض من أصحابها، بل هو من باب إكرامهم، ذلك أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سُنَّةِ ذلك المقبور وطريقته، مشغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه، ومن كرامة الأنبياء والصالحين أن يتبع ما دعوا إليه من العلم الصالح ليكثر أجرهم بكثرة أجور مَنْ اتبعهم، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا} (١) «(٢).

ولا شك في أن النذر للقبور أو للمقبور يدخل في إضاعة المال، وإنفاقه في غير حقه، والله عَزَّوَجَلَّ قد حَرَّمَ إضاعة المال، ففي الحديث: {إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمِّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ} (٣).

إِضَاعَةُ الْمَالِ: يكون بإنفاقه في غير الوجوه المشروعة وتعريضه للتلف، وإنفاق المال في النذر للمقبور نوع من السَّفَه، وهو لا ينفعه ما أنفقه، ولا يدفع عنه ضرراً.

وما مصير هذه الأموال التي تجمع في صناديق النذور؟

هل تُنْفَقُ في تعليم أبناء المسلمين؟

هل تُنْفَقُ في بناء مساكن للشباب الأعزب لحمايته من الفتن؟

هل تُنْفَقُ لبناء مستشفيات يُعالَج فيها المرضى ويؤمَّن لهم علاج

(١) أخرجه مسلم: ك: العلم، ب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (٢٦٧٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٢٦٩).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: عقوق الوالدين من الكبائر، ح (٥٩٧٥)، ومسلم: ك: الأقضية، ب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، ح (٥٩٣).

للمرضى الفقراء؟

ورحم الله الشاعر المسلم:

أحيائنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات

• وهل يتقبل الله تعالى نذرًا يعتقد صاحبه أنه واسطة بينه وبين الله

في تفريج الكربات وقضاء الحاجات ونيل المرادات؟

فهو مال غير طيب، والله طيب لا يقبل إلا طيبًا، لذلك تجد أن هذه الأموال معرضة للسرقه والاستغلال ولا يتتفع بها إلا القائمون عليها.

لذلك أفتى الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية سابقًا بتحريم النذر للقبور، فقد سُئِلَ عن حكم النذر على الأضحية والأولياء، فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: «اطلعنا على السؤال، ونفيد: قد جاء في

كتاب: «البحر» قبل باب الاعتكاف من الجزء الثالث نقلًا عن

الشيخ قاسم، وفي «شرح الدرر» ما نصّه: «وأما النذر الذي ينذر

أكثر العوام على ما هو مُشاهد: كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو

له حاجة ضرورية، فيأتي بعض الصلحاء فيجعل ستره على رأسه

فيقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريض أو قضيت

حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا،

أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا، أو من الزيت كذا، فهذا النذر

باطل بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر لمخلوق لا يجوز لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق، ومنها أن المنذور له ميّت، والميّت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرّف في الأمور دون الله تعالى، واعتقاده ذلك كفر... إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرُّباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين، ما لم يقصدوا صرفه للفقراء الأحياء قولاً واحداً...

وقال الشيخ عبد الرحمن قُرَاعَةُ رَحِمَهُ اللهُ في رسالته التي ألفها في النذور وأحكامها: « ما أشبه ما يقدّمون من قربان، وما يندرون من نذور، ما يعتقدون في الأضحية وساكنيها، بما كان يصنع المشركون في الجاهليّة، وما يغني عنهم نفى الشُّرك عنهم بالسُّتْهم، وأفعالهم تُبنى عما يعتقدون: من أن هؤلاء الأولياء لهم نافعون ولأعدائهم ضارون» (١).

• وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: « وَأَمَّا النَّذُورُ الْمَعْرُوفَةُ فِي هَذِهِ الْأَزْمَةِ عَلَى الْقُبُورِ وَالْمُشَاهِدِ وَالْأَمْوَاتِ فَلَا كَلَامَ فِي تَحْرِيمِهَا لِأَنَّ النَّاذِرَ يَعْتَقِدُ فِي صَاحِبِ الْقَبْرِ أَنَّهُ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ، وَيَجْلِبُ الْخَيْرَ وَيَدْفَعُ الشَّرَّ، وَيُعَافِي الْأَلِيمَ، وَيَشْفِي السَّقِيمَ.

(١) الفتوى في دار الإفتاء مسجلة برقم (٢٧١٥)، موضوع (٣٨٧).

وَهَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ عِبَادُ الْأَوْثَانِ بِعَيْنِهِ فَيَحْرُمُ كَمَا يَحْرُمُ النَّذْرُ عَلَى الْوَثْنِ وَيَحْرُمُ قَبْضُهُ لِأَنَّهُ تَقْرِيرٌ عَلَى الشَّرْكِ، وَيَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُ وَإِبَانَةُ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَنَّهُ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ عِبَادُ الْأَصْنَامِ، لَكِنْ طَالَ الْأَمَدُ حَتَّى صَارَ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا» (١).

• وقد أطل الشوكاني في ذلك في رسالته المسماة: «شرح الصدور في تحريم رفع القبور»، ولولا خشية الملل لذكرناه، وما ذكرناه فيه الكفاية.

وما ذُكِرَ بيِّن: أن نذر العوام لأرباب الأضرحة أو التصدق لهم تقريباً إليهم، وهو ما يقصده هؤلاء الجهالة مما يندرونه أو يتصدقون به حرام بإجماع المسلمين، والمال المندور أو المتصدق به يجب ردُّه لصاحبه إن علم، فإن لم يعلم فهو من قبيل المال الضائع الذي لا يعلم له مستحق فيصرف على مصالح المسلمين أو على الفقراء، ولا يتعين فقير بصرفه إليه فليس لفقير معين.

وقال الدكتور محمود حمدي زقزوق «وزير الأوقاف»: في خطاب له للصحفي أحمد رجب: «أودُّ أن أوضح أن النذر لأصحاب الأضرحة والأولياء والصالحين باطل بإجماع الفقهاء، لأنه نذر

(١) سبل الإسلام شرح بلوغ المرام للصنعاني (٢/ ٥٥٨).

لمخلوق، والنذر عبادة، وهي لا تكون لمخلوق، وإنما تكون للمخلوق، والنذر لله من العبادات، ويعد وسيلة من وسائل التقرب إلى الله، وقد أقر الإسلام النذر، وجعل الوفاء به ملزماً، أما النذر لغير الله فإنه فضلاً عن أنه باطل وغير مشروع فإنه لا يجوز الوفاء به، ومن جانبنا نقوم بتوجيه أئمة المساجد إلى توضيح ذلك للجماهير الناس»^(١).

وما ذكرناه على النذر ينطبق على الذبح لله: لأنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، لا لنبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا ولي صالح أو عابد من العباد، أو غير ذلك من الأموات.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام].

• قال الحافظ ابن كثير: «يَأْمُرُهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَنُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾» [الكوثر]. أي: أَخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ وَذَبِيحَتَكَ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى

(١) جريدة الأخبار العدد (٢٧٣٣) بتاريخ: (١٣ / ١١ / ١٤١٧ - ٢٣ / ٣ / ١٩٩٧ م).

بِمُخَالَفَتِهِمْ وَالْإِنْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى» (١).

والمراد بالنُّسْكِ: قيل الذبيحة في الحج والعمرة، وقيل: النُّسْكُ كل ما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى من صلاة وحجٍّ وذبح وعبادة.

• فالذَّبْحُ لغير الله شركٌ، وهذا بيِّنٌ عند التأمل، لذلك أكَّد الله تعالى في الآية السابقة: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي لا غيره، فمن صرفها لغيره فهو مشرك.

• والذَّبْحُ كما يقول الشيخ ابن عثيمين (٢) على ثلاثة أوجه:

الأول: عبادة يُقصد به تعظيم المذبح له، والتذللُّ له، والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام].

الثاني: إكرام للضيف، أو وليمة عُرس، أو نحو ذلك، فهذا مأمور به، إما وجوبًا أو استحبابًا، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَمَنْ كَانَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٣).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، ص (٦٣) بتصرف.

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فليُكْرِمَ صَيْفُهُ { (١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: { أَوْلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ } { (٢).

الثالث: أن يقع على وجه التمتع به بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا مباح لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يس].

وفي الحديث: { لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ } { (٣). ولا يحل الأكل من الذبائح التي ذبحت لغير الله تعالى.

• قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول: باسم الله واسم محمد رسول الله، أو يذبح كتابي لكنيسة أو لصليب أو لموسى أو لعيسى، أو مسلم يذبح للكعبة أو لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو تقرُّبًا لسلطان أو غيره أو للحِجِّ، فهذا كله

- (١) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ح (٦٠١٨)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ح (٤٧).
- (٢) أخرجه البخاري: ك: النكاح، ب: الصفرة للمتزوج، ح (٥١٥٣)، ومسلم: ك: النكاح، ب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، ح (١٤٢٧).
- (٣) أخرجه مسلم: ك: الأضاحي، ب: تحريم الذَّبْح لغير الله تعالى، ح (١٥٦٧).

يُحَرِّمُ المذبح، وهو كبيرة على ما مرَّ» (١).

فإذا كان الذَّبْح باسم محمد أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام، وهم من أولي العزم، فكيف يجوز الذَّبْح للحسين والبدوي والسيدة والجيلاني وابن علوان وغيرهم؟!

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فمن ذبح لغير الله من حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم لم يَحِلَّ ذبيحته، وكان فعله كفرًا كمن سجد لغيره سجدة عبادة» (٢).

وتأمل كيف جمع الله تعالى بين الصلاة والذَّبْح في قوله تعالى:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر].

• وما يفعله بعض الجهَّال من تربية عجل «مثلاً» وتسمينه للذبح عند السيد البدوي مثلاً، هذا الفعل مشابه لمن كانوا يُسَيِّبُونَ السَّوَائِبَ لأصنامهم، كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٣) [المائدة].

وقال تعالى مبيناً جهل العرب في الجاهلية الأولى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي (١/ ٣٥١).

(٢) روضة الطالبين، للنووي (٣/ ٢٠٦).

مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ
وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا
كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
﴿١٣٦﴾ [الأنعام].

• قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء
الأنعام عبادة، لأنها إما هدي أو ضحية أو نسك، وكذلك ما يُذبح
للبيع، لأنه مكسب حلال فهو عبادة، ويتحصّل من ذلك شكل قطعي
هو: أن إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا لله، فإراقة
دماء الأنعام لا تكون إلا لله» (١).

ويدخل في الحرمة أيضًا من ذبح للجن لدفع شرّه أو أذاه، أو قضاء
حوائج، أو تلبية لقول الساحر أو الكاهن، كل ذلك يُعدُّ شركًا في
عبادة الله تعالى.

• قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه
واستعاذ به أو تقرب إليه بما يجب فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة،
بل يُسمّيه استخدامًا ما» (٢).

(١) الدر النضيد، ص (١٠).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٢٣٥).

• ويقول الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ اللهُ: «وَالذَّبْحُ لِلْجِنِّ يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ فِي الْبَوَادِي وَالْقُرَى وَالْبُلْدَانِ، فَإِذَا مَرَضَ الشَّخْصُ أَوْ أَصَابَهُ دَاءٌ أَوْ جَنُونَ ذَبَحُوا كِبَشًا أَوْ غَيْرَهُ لِلْجِنِّ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّ الْجِنَّ أَصَابَتْهُ بِسَبَبِ حَدَثٍ مِنْهُ، فَيَذْبَحُونَ عِنْدَهُ ذَبِيحَةً لِلْجِنِّ يَقْصِدُونَ تَخْلِيصَهُ مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ، وَهَذَا مِنَ الشُّرْكَ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ، وَفَاعِلُ ذَلِكَ مُشْرِكٌ يُسْتَتَابُ، وَالذَّبِيحَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ حَرَامٌ لَا يُبَاحُ لِمُسْلِمٍ أَكْلُهَا وَإِنْ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا مِمَّا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَذَبَائِحِ الْكُفَّارِ يَذْبَحُونَهَا لِلْأَصْنَامِ وَالشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ» (١).

ومما حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الذَّبَائِحِ: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، وهو بمنزلة ما ذبح لغير الله تعالى، وقد ذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: «الْكِبَائِرُ» «الْكَبِيرَةَ الثَّامِنَةَ وَالْخَمْسِينَ: الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: بِاسْمِ الشَّيْطَانِ أَوْ لِلصَّنَمِ أَوْ بِاسْمِ الشَّيْخِ فُلَانٍ» (٢).

• وَفِي تَحْرِيمِ النَّذْرِ وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى حِمَايَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَسَدُّ لَذَرَائِعِ الشُّرْكِ، وَالتَّشَبُّهُ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالصَّابِئَةِ وَأَهْلِ

(١) حجة التحريض، ص (٣٥).

(٢) الكبائر، ص (٢١٩).

الجاهليّة، كما نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة في مسجد الضرار، وأمر بحرقه حمايةً لمساجد الله تعالى التي أُسِّست على التقوى، لأن مسجد الضّرار أُعِدَّ لِلْمَعْصِيَةِ فصار محل غضب الله تعالى، فلا تجوز الصلاة فيه، وقد قرن الله تعالى الصلاة بالذَّبْح، والصلاة والنَّذر والذَّبْح عبادة لله وَحْدَهُ.

• حكم الذَّبْح عند القبور:

قد يقول قائل: أنا أذبح لله تعالى عند القبر لأوزعها على الفقراء، وهذا وَهُمْ وتلبس من الشيطان، فهو يزيّن لهم العمل، ليبرره لهم، ذلك لأن الذَّبْح عند القبور ليس من هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أمر لم يُخَصَّصه الشرع، وإذا كان الذابح قد ذبح لله تعالى كما يزعم فلمماذا جاء بذبيحته عند القبر بالذات؟!!

ولا شك أن الفقراء في كل مكان، كما أن الأقربين والجيران هم أولى بها شرعاً وعرفاً.

وسدُّ الذرائع من أصول الدِّين، فإن كان الذَّبْح لله تعالى فلا شيء قَرَّبَ ما تنحره عند القبر؟ هل أردت تعظيمه أو التماس البركة والقبول هناك أم ماذا؟

• وقد يترك الناس الأضحىة، وهي من أعظم القربات لله تعالى، وينتظر المولد (كمولد البدوي، والرفاعي وغيره) ليذبح فيه، وهذا من تعظيم الأموات، والبدع المنكرات، لهذا قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «أما الذَّبْحُ والعقر عند القبر فمذموم، لحديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: { لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ } (١)» (٢).

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا إذا كان الذَّبْحُ هناك لله تعالى، وأما إذا كان لصاحب القبر كما يفعله بعض الجهَّال فهو شرك صريح، وأكله حرام وفسق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]» (٣).

ولا يشرع شيء من العبادات عند القبور حتى الصدقة وغيرها. وقد يكون في الذَّبْحُ عند القبر، وتوزيع الصدقات والخبز رياءً وسمعةً ومُفاخرةً.

(١) أخرجه أبو داود : ك: الجنائز، ب: كراهية الذَّبْحُ عند القبر (٣٢٢٢)، وصحَّحه الألباني.

(٢) المجموع شرح المذهب، للنووي (٥ / ٣٢٠).

(٣) أحكام الجنائز، للألباني، (ص: ٢٠٣).

■ الزَّيَارَةُ وَشَدُّ الرِّحَالِ إِلَى مَسَاجِدِ وَأُضْرَحَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ:

• الأَصْلُ أَنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ مَشْرُوعَةٌ وَتَذَكُّرٌ بِالْآخِرَةِ، وَتَذَكُّرٌ بِالْمَوْتِ، وَتَرْقُّقُ الْقَلْبِ، وَتَأْخُذُ مِنْهَا الْعِبْرَةُ وَالْعِظَةُ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَوْنًا لَكَ عَلَى رَدِّ الْحَقُوقِ، وَمَنْعِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حَقِّ اللَّهِ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا أَبَاحَ زِيَارَةَ الْقُبُورِ بَعْدَ أَنْ نَهَى عَنْ زِيَارَتِهَا حَذَرًا مِنَ الْقَوْلِ هَجْرًا، أَوْ نَقُولُ مَا يَسْخَطُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْهَجْرَ، وَأَنْ مَا يُسْخَطُ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا هُوَ: دَعَاءُ الْمَيِّتِ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِ، وَسُؤَالُ اللَّهِ تَعَالَى بِحَقِّهِ، وَحُدُوثُ مَجَالِسِ الْغَيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ عِنْدَهَا، وَاتِّخَاذُهَا مَسْكَنًا وَمَقِيلًا وَمَجْلِسًا.

• وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ الْأَدَابَ وَالْحُدُودَ الْمَشْرُوعَةَ لِلزَّيَارَةِ، فَتِلْكَ زِيَارَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَبْرِ أُمِّهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ } (١).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: ك: الْجَنَائِزُ، ب: اسْتِئْذَانُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبِّهِ ﷺ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، ح (٩٧٦).

والفرق بين زيارة القبور الشرعية، والزيارة الشَّرْكَية هو أن:

الزيارة الشَّرْكية: أن يطلب الزائر فيها المدد، أو استغاث بالميت، أو طاف حول قبره، أو تمسَّح بالتراب، أو تحرَّى الدعاء أو الذَّبْح أو الصدقة أو إطعام الطعام عنده، أو نذر له، أو قصده في المَلَمَّات والحاجات.

وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شدِّ الرِّحال إلا لثلاثة مساجد هي: المسجد الحرام، ومسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسجد الأقصى.

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى } (١).

وظاهر النهي: المنع والتحريم.

• وعند الإمام أحمد بسنده أن أَبَا بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَهُوَ جَاءٍ مِنَ الطُّورِ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنَ الطُّورِ صَلَّيْتُ فِيهِ، قَالَ: أَمَا لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَرَحَّلَ إِلَيْهِ مَا رَحَلْتَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى } (٢).

(١) أخرجه البخاري: ك: الصلاة، ب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ح (١١٨٩)، ومسلم: ك: الحج، ب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ح (١٣٩٧).
(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٣٨٥٠).

وَعَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ: قُلْتُ لَأَبْنِ عُمَرَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَ الطُّورَ قَالَ: «إِنَّمَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَدَعَّ عَنْكَ الطُّورَ فَلَا تَأْتِهِ» (١).

• وَالسَّفَرُ لزيارة المشاهد والأُضْرَحَةِ ليس من عمل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه، ولم يرد في السُّنَّةِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سافر لزيارة قبر أحد من إخوانه الأنبياء والمرسلين، ولا قبر أحد من صحابته الكرام الذين ماتوا في حياته.

فإن قال قائل: أنا أسافر للزيارة لأدعو للميت عند قبره، لا للتبرُّك بزيارة قبره، نقول له: بإمكانك أن تدعو له وأنت في بيتك أو مسجدك، فيحصل الدعاء دون شدِّ الرحال، وارتكاب البدع.

• فَالسَّفَرُ إِلَى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، وهو مخالف للسنة وسبيل المؤمنين، ولم تحدث بدعة السفر هذه إلا بعد القرون المفضَّلة.

• سئل مالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إِنْ كَانَ أَرَادَ الْمَسْجِدَ فَلْيَأْتِهِ وَلْيَصِلْ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ الْقَبْرَ فَلَا يَفْعَلْ». وليس في شدِّ الرحال لزيارة القبور ترغيب وفضيلة في الكتاب

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، برقم (٩١٧١).

والسُّنة، بل ورد النهي والتحذير من ذلك.

ومن زعم وجود فضل لشدة الرِّحال ظهر للمتأخرين، ولم يظهر للنبيِّ وأصحابه فإنما ذلك من تلبس إبليس، وإلقاء الشيطان لهم، وهي بذلك تعدُّ نقیصة لا فضیلة.

• قال شيخ الإسلام: « وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: « عَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ عِصْمَةٌ. فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا جُعِلَتْ لِيُسْتَنَّ بِهَا وَيُقْتَصَرَ عَلَيْهَا وَإِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الزَّلَلِ وَالْخُطَاِ وَالْحُمَقِ وَالتَّعَمُّقِ. فَارْضَ لِنَفْسِكَ بِمَا رَضُوا بِهِ لَأَنْفُسِهِمْ. فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا وَبَصَرَ نَافِذٍ كَفُّوا. وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِهَا أَقْوَى. وَبِتَفْصِيلِهَا لَوْ كَانَ فِيهَا أُخْرَى » (١).

وكل وسيلة إلى الشُّرك نهى الإسلام عنها من باب سدِّ الذرائع: لذلك حرم الإسلام صلاة النافلة في الأوقات التي يسجد فيها عباد الشمس لها، ونهى أن يقول الرجل: ما شاء وشئت، ونهى عن الحلف بغير الله، وعن تعليق التمايم، والصلاة إلى القبر، وأن يتخذ القبر مسجداً وكل ذلك كان حرصاً على صفاء التوحيد ونقاؤه في قلوب العباد.

فضلاً عن أن تعظيم الأماكن والبقاع، واتخاذها مزارات وأعياداً

هو من أعمال أهل الكتاب الذين نهانا الله تعالى عن التشبه بهم، وأتباع سبيلهم.

• وما اتخذ الصحابة ولا التابعون من بعدهم الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ في أسفاره مساجد، ولا مزارات.

• والشيعة والروافض هم أول من قاموا بوضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد والقبور، فقد ألفوا كتاباً بعنوان: «حج المشاهد» حوى جملة من الأحاديث الموضوعة تحض على الزيارة والسفر للقبور والمشاهد، وذكروا فيه أن الحج للمشاهد أفضل من السفر لحج بيت الله الحرام إلى آخر ما ذكروه وافتروه، ومنها:

حديث: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي»، «ومن زار قبري وجبت له شفاعتي»، وهذه أحاديث موضوعة، ومكذوبة على النبي ﷺ، كما أن معانيها مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

• وأما الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، - وهو من أعلم الناس بحقوق رسول الله ﷺ، وبالسنة التي كان عليها أهل مدينته من الصحابة والتابعين - فقد كره أن يقال: زرت قبر رسول الله ﷺ، ولو كان هذا اللفظ ثابتاً عن رسول الله ﷺ، معروفاً عند علماء

المدينة لم يكره مالك ذلك.

وهنا يجب التفرقة بين زيارة قبره الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَدَّ الرِّحال إليه لهذا الغرض فقط، فالمحرَّم شَدُّ الرِّحال، أما زيارة قبره الشريف لساكني المدينة النبويَّة وزائريها من الحجاج والمعتمرين فلا شيء فيه البتَّة، على أن تكون النيَّة شَدَّ الرِّحال لمسجده، والصلاة فيه.

أما حديث: { زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ } (١).

فهذا ينطبق على من مرَّ بالقبور، أو كان قريباً منها، لا على من شَدَّ الرِّحال إليها، لأنه مقيَّد بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ... } الحديث، وكلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصدِّق بعضه بعضاً.

وأما لفظ { زُورُوا الْقُبُورَ } لفظ مشتمل كلفظ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾

لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ [طه]، فلا بد من تفصيل فيها.

فالنزاع والخلاف في شَدَّ الرِّحال إلى القبور نشأ عند المتأخرين، ولم ينقل عن إمام من أئمة المسلمين أنه قال إن هذا مستحبٌّ، وعلماء الأُمَّة يذكرون استحباب السفر إلى مسجده الشريف وزيارة قبره الشريف.

(١) أخرجه ابن ماجه: ك: الجنائز، ب: ما جاء في زيارة القبور، ح (١٥٦٩)، وصحَّحه الألباني.

• يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: « وَمَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْصِدْ إِلَّا زِيَارَةَ الْقَبْرِ يَكُونُ سَفَرُهُ مُسْتَحَبًّا... وَأَمَّا مَنْ يَعْرِفُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ لَا يَكُونُ فِيهِمْ مَنْ أَمَرَ بِالسَّفَرِ لِمَجَرَّدِ زِيَارَةِ قَبْرِ لَا نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِ نَبِيٍّ بَلْ صَرَحَ أَكْبَرُهُمْ بِتَحْرِيمِ مِثْلِ هَذَا السَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ » (١).

ومن المعلوم أن كل عمل تُنْزَعُ فيه: هل هو مُحَرَّمٌ أو مباح، فليس بِقُرْبَةٍ، كمن يلعب النرد والشطرنج، ويستمتع إلى الغناء والمعارف ونحو ذلك.

ثم إنَّ القولَ باستحباب شيء أو كراهته أو إباحته أو تحريمه لا بد أن يكون له دليل من الكتاب والسُّنة.

• ومعظم القبور التي تقصد بالسفر وشدَّ الرِّحال في مساجد، وقد لعن الله ورسوله الذين يتخذون قبور الأنبياء مساجد، وأخبر أنهم من شرار الخلق.

والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأتي قباءً راكبًا أو ماشيًا، وكان يزور القبور، ولم يرد أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شدَّ الرِّحال قاصدًا زيارتها البتَّة.

وأعظمُ الناس تعظيماً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أطوعُ الناس له، وأشدُّهم حرصاً على اتباع سنته، والاقتداء به، وتحكيم شريعته وأمره عند النزاع، بل وفي كل الأمور. ومن تعظيمه ترك هوى النفس على أمره، وعدم عصيان أمره، وتقديم محبته على هوى النفس وشهواتها. ومن تعظيمه عدم المغالاة فيه، أو مدحه بما ليس فيه.

• وثمة فرق شاسع بين المحبة الحقيقية والمدعاة، بين من يعظم رسول الله بالقيام بأمره والانتفاء عن نهيه، ومن يدعي تعظيم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرتكب ما نهى عنه.

فأشدُّ المؤمنين حباً واتباعاً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقلُّهم غلوّاً فيه، ولا سيما أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم، وأضعفهم إيماناً وأقلُّهم اتباعاً له هم أشدُّهم غلوّاً في القول، وابتداعاً في العمل، وترى ذلك في كلام وأشعار الفريقين.

إنَّ العدوَّ الحقيقي للأنبيا والصالحين هو من خالفهم في القول والعمل، وفعل ما يغضبهم ويؤذيهم.

وفعلُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الأكمل والأقرب في القبول، والأعظم في الأجر والثواب، ومخالفة فعله مردودة على صاحبها، غير مقبولة عند الله عزَّ وجلَّ.

□ هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الدفن:

• عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ: «الْحُدُّوا لِي لِحْدًا، وَأَنْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبْنَ نَصْبًا، كَمَا صَنَعَ بِرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (١).

واللحد: هو أن يحفر في اتجاه القبلة من أسفل القبر لعمل مكان للميت.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ وَفِي الشَّقِّ جَائِزَانِ لَكِنْ إِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ صُلْبَةً لَا يَنْهَارُ تُرَابُهَا فَاللَّحْدُ أَفْضَلُ لِمَا سَبَقَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَإِنْ كَانَتْ رِخْوَةً تَنْهَارُ فَالشَّقُّ أَفْضَلُ» (٢).

والتراب الذي يخرج من القبر يعود إليه بعد الحفر، ويوضع فوقه فيرتفع القبر مقدار شبر أو نحوه، ولا يُسَوَّى بالأرض ليطمئن القبر ويصان، ويُجْعَلُ فوق القبر سنامٌ كما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• ويستحبُّ توسيع القبر وتعميقه، وإذا كانوا أكثر من واحد يُقَدَّمُ أَكْثَرُهُمْ قَرَأْنَا... هذا هو هَدْيُ الإسلام في الدفن.

• قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فصل في هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَائِزِ ...»: «كَانَ هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَائِزِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ

(١) أخرجه مسلم: ك: الجنائز، ب: في اللحد ونصب اللبن على الميت، ح (٩٦٦).

(٢) المجموع شرح المذهب، للنووي (٢٨٧/٥).

مُخَالِفًا لِهَدْيِ سَائِرِ الْأُمَمِ، مُشْتَمِلًا عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْمَيِّتِ وَمُعَامَلَتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ مَعَادِهِ، وَعَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَعَلَى إِقَامَةِ عِبُودِيَّةِ الْحَيِّ لِلَّهِ وَخَدِّهِ فِيمَا يُعَامَلُ بِهِ الْمَيِّتَ. وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ فِي الْجَنَائِزِ إِقَامَةُ الْعُبُودِيَّةِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَيِّتِ، وَتَجْهِيزُهُ إِلَى اللَّهِ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَأَفْضَلِهَا، وَوُقُوفُهُ وَوُقُوفُ أَصْحَابِهِ صُفُوفًا يَحْمَدُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَسْأَلُونَ لَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالتَّجَاوُزَ عَنْهُ، ثُمَّ الْمَشْيُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ يُودِعُوهُ حُفْرَتِهِ، ثُمَّ يَقُومُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ سَائِلِينَ لَهُ التَّثْبِيتَ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَتَعَاهَدُهُ بِالزِّيَارَةِ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَالِدُّعَاءِ لَهُ كَمَا يَتَعَاهَدُ الْحَيُّ صَاحِبَهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا» (١).

• ومن السُّنَّةِ الدَّفْنُ فِي مَقْبَرَةٍ عَامَةٍ، إِلَّا الشَّهَدَاءَ، فَإِنَّهُمْ يُدْفَنُونَ مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ، وَلِذَلِكَ فَوَائِدُ مِنْهَا:

- ١- أن الميت تشمله دعوة المسلمين عند زيارتهم للمقابر.
- ٢- أن ذلك أقل ضررًا وكلفة على الأحياء.
- ٣- أنها أشبه بمساكن الآخرة.
- ٤- أن فيها حفظًا لعقيدة العوام من اعتقاد أن المدفون خارج المقبرة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٧٩).

له مكانة خاصة.

٥- أن فيها حفظاً من خطوات الشيطان في تزيين سوء العمل والشرك.

أما الدفنُ خارج المقبرة العامة فهو مخصص للشهداء في سبيل الله، والدفن مكان الموت، أو في البيوت خاص بالرسل والأنبياء، فيتم دفنهم مكان موتهم.

ودفن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صيانة له، وحتى لا يُتخذ قبره عيداً يُعبد من بعده، فكان ذلك سداً للذرائع، وحتى لا يُبنى عليه مسجد فيما بعد.

والقبر يكون للعبد على حسب ما في القلب من إيمان، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۖ﴾ [العاديات].

فكلما كان الإيمان في القلب أعظم كان صاحبه في القبر أكثر سروراً ونعيمًا.

• ولقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن البناء على القبور سواء كان مشهداً أو قبة أو مسجداً أو ضريحاً أو مقاماً، ونهى أن يخصص القبر، أو يقعد عليه، أو يزداد عليه، أو يصلى إليه.

كما نهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة، والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والشاقة: التي تشق ثيابها

عند المصيبة.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية]، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

والأمة الإسلامية بهذا النص تنفرد بشرعية خالصة ومتميزة عن غيرها، ويجب أن تكون هكذا.

ومما يورثه التشبه بهم: محبتهم، والولاء لهم، والانتساب إليهم لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ} (١).

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

• عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَ مَرَضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذَاكَرَ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيْسَةً بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةَ وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَدْ أَتَتَا أَرْضَ الْحَبْشَةِ فَذَكَرْنَ مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِهَا قَالَتْ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا

كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخُلُقِ عِنْدَ اللَّهِ { (١) } .

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: « هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى قُبُورِ الصَّالِحِينَ وَتَصْوِيرِ صُورِهِمْ فِيهَا كَمَا يَفْعَلُ النَّصَارَى » (٢) .

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « كَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَ أَنَّهُ مَرَّتِلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ، فَخَافَ أَنْ يَعْظُمَ قَبْرُهُ كَمَا فَعَلَ مِنْ مَضَى، فَلَعَنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، إِشَارَةً إِلَى ذَمِّ مَنْ يَفْعَلُ فَعْلَهُمْ » (٣) .

كما أَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى الْقُبُورِ ضَرْبٌ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالسَّفَةِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾ [النساء: ٥] .

• قال الكاساني رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَكَرِهَ أَبُو حَنِيفَةَ الْبِنَاءَ عَلَى الْقَبْرِ... وَلِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الزِينَةِ وَلَا حَاجَةَ بِالْمِيتِ إِلَيْهَا، وَلِأَنَّهُ تَضْيِيعُ الْمَالِ بِلَا فَائِدَةٍ فَكَانَ مَكْرُوهًا » (٤) .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: ك: الصَّلَاة، ب: هَلْ تَبْشُرُ قُبُورَ مُشْرِكِي الْجَهَالِيَةِ وَيَتَّخِذُ مَكَانَهَا مَسَاجِدَ، ح (٤٢٧)، وَمُسْلِمٌ: ك: الْمَسَاجِدُ وَمَوَاضِعُ الصَّلَاة، ب: النَّهْيُ عَنِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، ح (٥٢٨)، وَاللَّفْظُ لِلْبِيهَقِيِّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى، ح (٧٢٢٠) .

(٢) انْظُرْ: تَحْذِيرُ السَّاجِدِ مِنَ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ (ص: ١٤) .

(٣) فَتْحُ الْبَارِي، لِابْنِ حَجَرٍ (١/ ٥٣٢) .

(٤) بَدَائِعُ الصَّنَائِعِ، لِلْكَاسَانِيِّ (١/ ٣٢٠) .

يقول الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ: «ومساجد الأضرحة درجات عند وزارة الأوقاف تعلق درجاتها بعلو صيت صاحب الضريح في قلوب عبّاد قبره، كمسجد قبر البدوي، فيختار له أكابر الأحرار شيوخاً وأئمة وخطباء ومؤذنين وقرّاء، ولهذا تعظم المساجد في قلوب الناس تبعاً لما يعظم به قبره في قلوبهم!!

وترعى الوزارة مساجد القبور وتُعنى بها أربّ عناية، فسقفها موشاة بالفسن الوثني، وعمدها من الرخام الإيطالي الشهير، ومقاصير قبورها تصنع في «برمنجهام»، وفرشها من البسط الأعجمية الوثيرة، وثرىاتها (النجف) من مصقول البلور الرائع، حتى ليشير المسجد في أخيلة قصّاد قبره ما صوّره التاريخ من تماويل لإيوان كسرى وبساطه، ويُبهر منهم النفوس والقلوب، ويتبدّد منهم الأحاسيس والمشاعر، حتى لينسيهم بركات الميت الذي جاؤوا يقيمون الصلاة من أجله!! ترى ماذا يقول إنجليزي من «برمنجهام» أو إيطالي يقبل من «روما» حين يريان المسلمين يلثمون في ذلّ الصّراعة ما صنعتهم أيديهم، جُودٌ على الأصنام وبُخلٌ على الأيتام، أترى هذه القبور المشيدة كالقصور المتلائية بالنور، الفياضة بالعطور تُثير في النفس مشاعر العِظّة والعِبرة؟!

أم تراها تُثير في نفس الفقير الحسرة الأسيفة الكثيبة على دنياه؟!
أتذكر هذه القباب بالآخرة، وفيها تتبرج الدنيا بترفها الفاتن المفتون؟!
هنا تحت وَهَجِ النور وشَعَشَعَةِ البخور، وتبرُّج الدنيا بالفنون،
تعيش هذه الأجساد الهامدة في القبور، ويا عجبًا لجسد بال تضرَّع
بالعبادة إليه هذه القلوب!! جماجم سلط عليها البلى دودة الظالم
المهموم، ولكن يأبى الناس إلا حشد تلك الأفواه، وهذه الجماجم
بالفضة والذهب، في حين يرحمون نفوس اليتامى الأحياء باللعة
والغضب، فأَي دين الله يا عُبَادَ القبور وأحلاف الموتى والعدم» (١).

• ومما لا شكَّ فيه أن بناء القباب والمشاهد على القبور من إحياء
سنن الجاهليَّة والوثنيَّة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ
ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَلِّبُ دَمِ
أَمْرٍ بَغَيْرِ حَقٍّ لِيَهْرَبَ دَمُهُ } (٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: « وأما تعلية البناء الكثير (يعني على القبر
وهو ما زاد عن الشُّبر) على نحو ما كانت الجاهليَّة تفعله تفخيماً

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، ص (٧٧)، (١٨٩-١٩٠).

(٢) أخرجه البخاري، ك: الديات، ب: من طلب دم امرئ بغير حق، ح (٦٨٨٢).

وتعظيماً فذلك يُهدم ويُزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبُّهًا بمن كان يعظّم القبور ويعبدها «(١)».

ولا شك أن ذلك ذريعة إلى الشُّرك والابتداع في دين الله تعالى، وقد صارت هذه البدعة وسيلة لضلال كثير من الناس لاسيما العوام والمترفين وأصحاب الحرص على المال والشرف، ولا يزال الشيطان يرفع من مرتبة المقبور من رتبة إلى رتبة حتى يناديه مع الله عزَّوجلَّ، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله عزَّوجلَّ، ولا يقدر عليه أحد سواه، فيقع في الشُّرك (٢).

• والواقع يشهد لصحة ما جاءت به الشريعة الإسلامية الكاملة بالمنع منه والتحذير عنه، ولعن فعله لكونه من وسائل الشُّرك والغلو في الأنبياء والصالحين، والواقع شاهد بصحة ما جاءت به الشريعة، ودليل على أنها من عند الله عزَّوجلَّ، تعالى عن الشريك والنظير والندِّ والولد، ودليل قاطع على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن الله وبلغه الأُمَّة.

• والبناء على القبور من الزينة والحِيلاء التي لا تتناسب مع هيبة

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٠ / ٣٨١).

(٢) السيل الجرار، الشوكاني (١ / ٢٢٤).

القبور، وهو مخالف لعمل سلف الأمة مع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، والله تعالى قال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١٦٥) [النساء].

ورحم الله من قال :

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بِالْتَّمُوهِ
مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةٌ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ

• ويكفي أن قبور المهاجرين والأنصار كانت على هيئتها وما زالت.

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَلَمْ أَرِ قُبُورَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مُجَصَّصَةً ... وَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ الْوَلَاةِ مَنْ يَهْدِمُ بِمَكَّةَ مَا يُبْنَى فِيهَا فَلَمْ أَرِ الْفُقَهَاءَ يَعْيبُونَ ذَلِكَ » (١).

• وبناء المشاهد والقباب والمساجد على القبور تساعد على انتشار الشرك والبدع، وفي هذا أذى للميت بلا شك.

قال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَيَتَأَذَّى الْمَيْتُ بِالْمُنْكَرِ عِنْدَهُ ».

ولا شك أن أهل القبور من الأنبياء والصالحين يكرهون ما يفعل

عندهم مما نهى عنه الشرع، كما يكره المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ما تفعله النصارى بسببه، كما أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكره ما تفعله الرافضة والصوفية بسببه.

والقلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور المعظمين لها معرضين عن سنة المقبور، مشغولين بقبره عما أمر به، ودعا إليه، وإكرام الأنبياء والصالحين إنما هو اتباع ما أمروا به ودعوا الناس إليه من العمل الصالح، ليكثر أجرهم بكثرة أجور من أتبعهم.

□ **وبناء المساجد على القبور** يحتوي على محاذير، منها:

١- أنه يدخل فيه لعنة الله ورسوله، كما في الحديث: { لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ }، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يُحْذَرُ مِثْلُ مَا صَنَعُوا (١).

٢- أنه شرع لم يأذن به الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

(١) أخرجه البخاري: ك: الصلاة، ب: الصلاة في البيعة، ح (٤٣٥)، ومسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور، ح (٥٣١).

٣- أنه يتنافى مع كون المساجد خالصةً لله تعالى وحده، قال تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [١٨] الجن. فالإشراك في المساجد أقبح وأسوأ.

٤- فيه إماتةٌ للسُّنن وإحياء للبدع، ووكُرُّ للمُشعوذين والمُخرِّفين، ومَقَرُّ للخرافات والأوهام والخزعبلات، وخاصة بدع الموالد والنَّذر والطواف والدعاء وشدُّ الرحال وقصدها في الحاجات.

٥- أنه من الكبائر فقد ذكرها ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللهُ في الكبائر: (الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعين): وهي: اتِّخاذ القبور مساجد، وإيقاد الشُّرج عليها، واتِّخاذها أوثاناً، والطَّواف بها واستلامها، والصلاة إليها (١).

٦- فيه إضاعة المال، سواء في البناء أم في النذور.

٧- فيه التَّشَبُّه باليهود والنصارى.

٨- قد يعتقد بعضهم تفضيلها على المساجد الثلاثة التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى.

٩- فيه اختلاط الرجال بالنساء، والبكاء والزغاريد عندها، وارتكاب محرِّمات أخرى.

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٤٤).

١٠- المشابهة بعبادة الأصنام في الجاهليّة، قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

• وليس الأمر كما يقول أصحاب الأهواء، الذين يُلَوِّنُ النصوص عن مرادها، فيُجيزون البناء على القبور بحُجّة احترام الصالحين ومحبتهم، وهم يتجاهلون أن محبة الصالحين واحترامهم مقيّدة بالشرع الذي حرّم الغلوّ فيهم، وقد دلّ الشرع أن فعل محبي الميت مما ينكره الشرع: يضره ولا ينفعه، كما في الحديث الصحيح: {الميتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحيِّ عليه} (١).

واحترامها في حدود الشرع وما أوجبه من عدم جواز البول أو التغوط أو الجلوس أو الوطء عليها، أما تعظيمها بمعنى عبادتها فهو من أكبر الكبائر. حتى تظليلها إن استحسنه الناس، فيصدق فيه قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ وَإِنْ رَأَاهَا النَّاسُ حَسَنَةً» (٢)، فإن البناء عليها أو تظليلها أدّى إلى كثرة التردّد عليها، والاختلاط عندها، الطعام والشراب واللّغط في القول، وشرب القهوة والشاي

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: ما يُكره من النباحة على الميت، ح (١٢٩٢).

(٢) أحكام الجنائز، ص (٢٠٠).

والدخان والشَّيشة، وتحريُّ البركة والدعاء عندها، وغير ذلك.

- واستدلال القبوريين بقصة الحسن بن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه لما مات ضربت امرأته القُبَّة على قبره سنة، فهذا الأثر أورده البخاري معلقًا في باب: ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ثم هذا الأثر من رواية المغيرة بن مقسم، وهو كان أعمى ويدلّس فلا يصح خبره، ولا حُجَّة أيضًا في هذا العمل لمخالفة هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، والبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ لم يلتزم صِحَّة المعلقات كلها في كتابه، فهي خارجة عن مقصود كتابه المسمّى: «الصحيح المسند من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُنَّته وأيامه». وأراد البخاري به كراهية اتخاذ البناء على القبر، وقد أورد في الصحيح ما يخالف هذا الأثر ويبطل الاستدلال به.

■ شبهة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجده، والرد عليها :

وقد يحتج هؤلاء بوجود قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجده! فنقول لهم وبالله التوفيق:

١- إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يدفنوا النبي في مسجده، بل دفنوه في الحجرة التي مات فيها، وكانت خارج المسجد، والأنبياء يُدَفَنُونَ حيث ماتوا.

٢- لقد ظلَّ مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هو في خير القرون التي وصفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: { خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ } (١)، وهي قرن الصحابة، وقرن التابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ومن بعدهم، دون إدخال للحجرة النبوية في المسجد، ثم حدث فيما بعد - كما سيأتي - فلم يكن دخول القبر في مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صنع أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا من صنع التابعين لهم بإحسان؛ لذلك لا يجوز الاحتجاج به.

٣- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يُتَّخَذَ قَبْرُهُ أو قبر غيره مسجداً، ووقع ما حذر منه، كما وقع في الأمة ما حذر منه من استحلال الربا والزنا والمعازف وظهور النساء الكاسيات العاريات والحكام الظلمة

(١) سبق تحريجه.

وغير ذلك مما نهى عنه ووقع.

٤- أن ما ثبت للمسجد النبوي من فضائل - من جواز شدِّ الرِّحال إليه، وتضعيف ثواب الصلاة فيه - كان قبل دخول الحجرة النبويَّة التي دفن فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد.

٥- أن دخول الحجرة في المسجد تم في عهد الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك، أي بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشرات السنين، ثم تم بناء القبة عليها سنة ٦٧٨ هـ في عهد الملك قلاوون المعروف بالملك المنصور.

٦- أنهم لم يقصدوا دخول الحجرة في مسجده، إنما أرادوا توسعة المسجد، فدخلت الحجرة فيه ضرورة.

٧- أن الحجرة لما أدخلت إلى المسجد سُدَّ بابها وبني عليها حائط آخر، صيانة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَتَّخِذَ بَيْتَهُ عَيْدًا أو قَبْرَهُ وَثْنًا.

٨- أنه لما انتبه القائمون على الأمر في العصور الأخيرة إلى خطورة إدخال قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، قاموا ببناء حجرة فارغة عليه، فصارت حجرة القبر تحت المسجد، ثم منعوا الطواف حولها، والتمسُّح بها، واتخذوا بعض الإجراءات التي تحفِّف من حِدَّة البدع والشرِّكيَّات في مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩- أن الواجب - لو أمكن - الرجوع بالمسجد النبوي إلى سابق عهده، سدا للذرائع، وذلك بالفصل بين المسجد النبوي والقبر الشريف.

وقد يَسْتَدِلُّ هؤلاء المبتدعةُ بما رواه الطبراني بلفظ: «في مَسْجِدِ الْخِيفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيًّا»، والحديث بهذه الرواية ضعيف ومنكر لوجود الأهوازي وهو مجهول، وفي إسناده ابن عمار الموصلي ضعيف الحديث مضطرب، وعيسى بن شاذان ممن يروي الغرائب.

والحديث الصحيح: { صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخِيفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا }، رُوي عن ابن عباس مرفوعاً، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٨٨/٣) بإسناد رجاله ثقات... فانظر إلى التحريف في النص.

ولو فرضنا ما قالوا وما حَرَّفُوا نقول: إنها قبور مُنَدَسَة تحت الأرض، وليست بارزة، ولا يعرفها أحد، والعبرة في الشريعة بالقبور الظاهرة، لأن الأرض كلها مقبرة للأحياء، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ﴿٥٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٥٦﴾ [المرسلات].

قال الشعبي: « بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ».

• والقبر إذا لم يكن ظاهراً معروفاً مكانه فلا يترتب من وراء ذلك مفسدة ظاهرة كما هو مُشَاهَد، حيث ترى الشَّرَكِيَّات إنما تقع عند

القبور المشرفة، حتى ولو كانت مزورة لا عند القبور المدرسة ولو كانت حقيقية.

• وقد يحتج المبتدعة بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وليست المودة متوقفة على بناء القباب والمشاهد على قبورهم، والتقرب إليهم بالمعاصي والشَّرَكِيَّات.

إنما المودة: الحبُّ وحفظ وصيتهم، ورعاية حقوقهم من الخمس والفِيء، والصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وأن تُقرَّ بفضلهم، والمودة لأهل البيت إن حُمِلت على متابعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وامتنال أمره، والكف عن نهيه فهي مودة حقيقية، وإن حملت على مخالفة أمره وارتكاب نهيه فهي دعوى فارغة لا أساس لها، ولا بُرْهان عليها، بل هي غلوٌّ منهىٌّ عنه لا يُرضي الله ولا رسوله.

■ شبهة أصحاب الكهف والرد عليها:

وقد يحتج البعض بما ورد في قصة أصحاب الكهف، من قوله تعالى:

﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۖ﴾ [الكهف].

والذين قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وهو من فعل أهل الغلبة، وذلك يشعر بأن مستنده القهر واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل الذين قالوا: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ والغالب أن الغلبة تكون سبباً للمعصية، والغلبة في الأمم السابقة إنما تكون للضالين والمكذبين.

فوصف هؤلاء بالغلبة مع وصف مقابلهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ يشعر أنهم ذوو جهل وغلو، وهذا قول ابن كثير في تفسيره، والألوسي في روح المعاني، وابن رجب وغيرهم.

ويتضح أن كل من يستدل بآية الكهف أنه صاحب هوى وبدعة يبحث في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على دليل يؤوله ويغير معناه ليستدل به على بدعته، ويخالف النصوص المتواترة، وأين هو من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن].

• قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: « وَهُوَ شَأْنٌ مَنْ يَأْخُذُ الْأَدِلَّةَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِبَارَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا يَنْظُرُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فَيُوشِكُ أَنْ يَزِلَّ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِ الرَّاسِخِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ شَأْنِ مَنْ اسْتَعْجَلَ؛ طَلَبًا لِلْمَخْرَجِ فِي دَعْوَاهُ » (١).

وهذا التأويل الباطل لأهل الأهواء، فلا بد من جمع باقي النصوص وفهمها من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) [الجن]، ومن نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الصحيحة عن اتخاذ القبور مساجد.

• ولو كان في بناء المساجد على القبور منقبة وكمال ودين لفعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أحب الناس إليه زوجه خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وبناته وعمه حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وغيرهم، ولما دُفِنَ هؤلاء بالبقيع، ولفعله أصحابه من بعده معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أحب إليهم من كل شيء.

• ثم ليس في الاستدلال بآية الكهف دليل على أنهم فعلوا ذلك، بل أخبر سبحانه أنهم اختلفوا فقط، ولم يتم البناء.

• واتخاذ القبور مساجد يعني البناء عليها وحولها، واتخاذها مكانًا للصلاة، فهو بلا شك لن يصلي داخل القبر أو عليه مباشرة، فالنهي

عن البناء على القبور هو نهْيٌ عما بُني على جوانب القبر (كما في القباب والمساجد والمشاهد الكثيرة) على وجه يكون القبر في وسطها، أو في جانب منها، فإن هذا بناء على القبر.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: { اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لَهُ بِالتَّيْبِتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ } (١)، فهل المعنى وقف فوق القبر أو بجوار القبر؟.

فتارة «على» تكون للمصاحبة كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّى الْمَالُ عَلَى حُبِّهِ﴾ وتارة تكون للتعليل، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكْبَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ﴾، وتارة تكون للمجاورة، وتارة تكون بمعنى في أو عند. ثم ادعاء البناء على القبور ليتنفع بزيارة أهلها والاستراحة عندها بالجلوس إليها، كل ذلك ينافي المقصد الشرعي من زيارة الميت، فالزيارة الشرعية لا ارتباط بينها وبين البناء على القبور، بل إن البناء قد جرَّ مفاسد كثيرة سبق ذكرها وعلى رأسها اتخاذ القبر عيداً، وعمل مَوْلَد عنده، بل بعضها صار مسكناً ومأوى. ثم إن الجلوس عند القبر واتخاذ استراحة مدعاة لفعل البدع وسماع الغناء وتناول الأطعمة، وهذا مخالف لهدي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسلف الصالح.

(١) أخرجه أبو داود: ك: الجنائز، ب: الاستغفار عند القبر في وقت الانصراف، ح (٣٢٢١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٦٠).

❑ صور اتخاذ القبور مساجد:

الصورة الأولى: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها، أي الصلاة ذات الركوع والسجود، فلا خلاف بحرمتها وعدم جوازها، باستثناء صلاة الجنائز التي لا ركوع فيها ولا سجود، بل هي دعاء، ففي الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تَصَلُّوا إِلَيْهَا } (١).

الصورة الثانية: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء: وهذا أيضاً محرّم ومنهي عنه، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح حديث: {لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ}: «أي اتخذوها جهة قبلتهم مع اعتقادهم الباطل...»، قال القاضي: لما كانت اليهود يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبلة ويتوجهون في الصلاة نحوها فاتخذوها أوثاناً «لعنهم الله»، ومنع المسلمين عن مثل ذلك، ونهاهم عنه «(٢)».

الصورة الثالثة: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها تبرّكاً بالمدفون فيها: واتخاذ القبر مسجداً يعني النهي عن بناء المساجد على القبور،

(١) أخرجه مسلم: ك: الجنائز، ب: النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، (٩٧٢).

(٢) فيض القدير (٤/ ٤٦٦).

ومفادُ الأحاديث منع اتخاذ القبر مسجدًا أو اتخاذ المسجد على القبر.

• واتخاذ المكان مسجدًا هو أن يُتخذ للصلوات الخمس، والمكان المتخذ مسجدًا إنما يُقصد فيه عبادة الله ودعاؤه لا دعاء المخلوقين، فَحَرَّمَ الإسلام أن تتخذ قبورهم مساجد ذريعة أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده والتوسل به، فنهى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وَحَدَّه لئلا يتخذ ذريعة إلى الشُّرك بالله، كنهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة أوقات الكراهة الثلاثة [بعد الفجر حتى الشروق، وقت الاستواء في الظهيرة، وحين تغرب الشمس] لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو الشَّبهُ بالمشرِّكين الذي يفضي إلى الشُّرك.

□ ومن مظاهر تعظيم القبور في المساجد والمشاهد عليها :

- استغاثة بعض العوام بهم، وحلفهم بهم.
- تعظيم المقبورين أكثر من تعظيمهم لله عَزَّوَجَلَّ.
- اعتقادهم أن الولي أسرع استجابة من الله عَزَّوَجَلَّ.
- الركوع والخشوع عند الأضحية، والطواف حولها واستقبالها، ودعاؤهم لها من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد تشتد هذه المظاهر قَرَبَ يوم القيامة، كما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلْصَةِ } (١)،

وكانت صنماً تعبدها دوس في الجاهليَّة بتبالة وهي موضع باليمن، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيضًا: { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ } (٢).

لذلك وَجَبَ على المسلمين أَنْ يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي تَوَدِّي بِأَحَدِهِمْ إِلَى الْوُقُوعِ فِي الشَّرْكِ، مثل ما نحن فيه من بناء المساجد على القبور، ونحو ذلك.

ولحوق قبائل من الأُمَّة المسلمة بالمشركين آخر الزمان يكون: إما بِالتَّشَبُّهِ بِهِمْ، وإما بِالشَّرْكِ الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ، أَوْ مَحَبَّتِهِمْ وَمَوَالَاتِهِمْ وَتَفْضِيلِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ. وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ } (٣).

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، ح (٧١١٦)، ومسلم: ك: الفتن وأشراف الساعة، ب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، ح (٢٩٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٥٢)، والترمذي، ح (٢٢١٩)، وقال حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري: ك: الجمعة: ب: فضل ما بين القبر والمنبر، ح (١١٩٥)، ومسلم: ك: الحج، ب: ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ح (١٣٩٠).

ولفظ بيتي هو الصحيح، ورواية: { مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي... } رُوِيَتْ بالمعنى، فالثابت الصحيح: { مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي... } أما اللفظ المشهور على الالْسَنَةِ «قبري» فهو خطأ من بعض الرواة كما جزم بذلك القرطبي وابن تيمية والعسقلاني، ولذلك لم يخرج في شيء من الصحاح، ووروده في بعض الروايات لا يصيره صحيحاً لأنه رواية بالمعنى.

• وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة]، والأنصاب جمع نُصْب، وهو كل ما نصبه الشيطان للناس وغر الناس به لعبادة غير الله تعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين من شجرة أو عمود أو وثن أو خشبة أو غير ذلك، والواجب هدم ذلك كله ومحو أثره» (١).

• ولقد هدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد الضَّرَار الذي كان يتخذ قاعدة لأهل النفاق، أفلا يكون أولى بالهدم من مسجد ضرار هذه القباب والأضرحة المقامة على القبور وهي مدعاة للشرك؟! والشُّرْك أعظم فساداً من النفاق.

(١) راجع إغاثة اللفهان من مكائد الشيطان (١/ ٢٠٩).

• وليس من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أكمل الهدى وأتمه - تعليه القبور، ولا بناؤها ولا تشييدها، ولا بناء القباب عليها فكل هذه بدعة مكروهة مخالفه لهديه وسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُهْدَمُ الْمَسْجِدُ إِذَا بُنِيَ عَلَى قَبْرِ، كَمَا يُنْبَشُ الْمَيْتُ إِذَا دُفِنَ فِي الْمَسْجِدِ، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، فَلَا يَجْتَمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَسْجِدٌ وَقَبْرٌ، بَلْ أَهْبَاهُمَا طَرَأَ عَلَى الْآخِرِ مَنَعٌ مِنْهُ، وَكَانَ الْحُكْمُ لِلسَّابِقِ، فَلَوْ وُضِعَا مَعًا لَمْ يَجْزُ» (١).

• وذكر الحافظ ابن كثير في حوادث عام ٢٣٦هـ: «فِيهَا أَمَرَ الْمُتَوَكَّلُ بِهَدْمِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَنَازِلِ والدور، ونودي في النَّاسِ من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به إِلَى الْمَطْبِقِ (السجن)» (٢).

وهذه الحادثة وغيرها تدل على مدى حِرْصِ الْأُمَرَاءِ عَلَى حِمَايَةِ التَّوْحِيدِ، وَالْقِيَامِ فِي نَصْرَةِ السُّنَّةِ وَالِدِّينِ، وَقَمْعِ الْمُبْتَدِعِينَ، وَعَدَمِ السَّكُوتِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَبَدْعِهِمْ.

• والمسلم إذا قصد الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٠١).

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (١٠/ ٣٤٧).

متبرِّكًا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادَّة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين أجمعوا على أن الصلاة عند القبر (أي قبر) لا فضلَ فيها لذلك، ولا مزيَّة خير فيها أصلًا، بل مزيَّة شرٍّ (١).

قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللهُ: «فلو بنى مسجدًا يقصد أن يُدفن في بعضه دخل في اللَّعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفة وقفه مسجدًا» (٢).

ولم يَقُلْ أحد من المسلمين إن الصلاة عند المساجد التي بها قبور والدعاء عندها أفضل منه في المساجد الخالية، بل اتفق علماء المسلمين على أن الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تُبْنَ على القبور أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بُنيت على القبور، ولم يختلف على ذلك أحد، فالخلاف في المساجد التي بُنيت على القبور والصلاة والدعاء فيها مختلف فيه بين الكراهية والتحريم، فالأسلم لدين المسلم أن يتحرَّى المساجد التي ليس عليها خلاف، وليس بها قبور.

(١) راجع اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩٣) وما بعدها.

(٢) نقله المناوي في فيض القدير (٥/٢٧٤).

❑ دفن الموتى في المساجد محرم، وإليك الدلائل على ذلك:

- ١- أنه بدعة: لم يأذن الله به، ولم يأذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو اتباع لغير سبيل المؤمنين.
 - ٢- وهو سنة سيئة على من فعلها، وعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى قيام الساعة.
 - ٣- فيه مشابهة لليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.
 - ٤- أنه وسيلة إلى تعظيم القبور من دون الله تعالى، وسد الذرائع إلى المحرمات مطلوب شرعاً.
 - ٥- الصلاة في هذه المساجد يدور حكمها بين الكراهية والتحريم.
- ولقد أفتى الشيخ عبد الحميد رحمه الله مفتي الديار المصرية سابقاً في فتوى: الرقم بدار الإفتاء: (٣١٧١)، الموضوع (٣١٩) (الدفن في المسجد غير جائز).
- قال رحمه الله: «اطلعنا على كتاب: الوزارة رقم: (٢٧٢٣) المؤرخ في: (٢١/٣/١٩٤٠م)، المطلوب به: بيان الحكم الشرعي فيما طلبه رئيس خدم مسجد عز الدين أبيك من دفنه في أحد القبرين اللذين بهذا المسجد. ونفيد أنه أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يدفن في المسجد ميت: لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره، فإن

المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر».

وقال في فتوى أخرى: «إنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديداً.. إلخ، وذلك لأن في الدفن في المسجد إخراجاً لجزء من المسجد عما جعل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النفل والذكر وتدريس العلم وذلك غير جائز شرعاً، ولأن اتخاذ قبر في المسجد على هذا الوجه الوارد في السؤال يؤدي إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده، وقد وردت أحاديث كثيرة دالة على حظر ذلك».

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) ص (١٥٨) ما نصه: «أن النصوص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقاً، واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها».

ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا}. وقال ابن القيم: نص الإمام أحمد وغيره على أنه إذا دفن الميت في المسجد نبش وقال - أي ابن تيمية - : لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طراً على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق إلى آخر ما قال في كتابه زاد المعاد.

• وقال الإمام النووي في شرح المذهب ص (٣١٦) ما نصه: «اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أو غيره لعموم الأحاديث.

قال الشافعي والأصحاب: وتكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحاً أو غيره. قال الحافظ أبو موسى قال الإمام الزعفراني رَحِمَهُ اللهُ: ولا يصلي إلى قبر ولا عنده تبركاً به ولا إعظاماً له للأحاديث وقد نص الحنفية على كراهة صلاة الجنازة في المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على جنازة في المسجد فلا أجر له، وعلل صاحب الهداية هذه الكراهة بعلتين: إحداهما أن المسجد بني لأداء المكتوبات، يعنى وتوابعها من النوافل والذكر وتدريس العلم.

وإذا كانت صلاة الجنازة في المسجد مكروهة للعلة المذكورة كراهة تحريم كما هو إحدى الروايتين وهي التي اختارها العلامة قاسم وغيره كان الدفن في المسجد أولى بالحظر لأن الدفن في المسجد فيه إخراج الجزء المدفون فيه عما جعل له المسجد من صلاة المكتوبات وتوابعها. وهذا مما لا شك في عدم جوازه شرعاً. وبما ذكرنا علم الجواب عن السؤال متى كان الحال كما ذكر « انتهت فتوى الشيخ عبد المجيد سليم رَحِمَهُ اللهُ.

□ متى ظهرت بدعة الدفن في المساجد في الأمة؟

واعلم أنَّ السُّنَّة في دفن موتَى المسلمين أن يكون في المقابر العامة إلا ما اقتضت الضرورة والحاجة.

ولقد ظل المسلمون على سُنَّة الدفن في المقابر العامة لم تتغيَّر إلى أن ظهرت البدع في دولة «بني بُويَّه» في شمال العراق، ودولة «العبيديين» في الشمال الأفريقي، ودولة القرامطة والإسماعيلية في اليمن، وكان يغلب على هؤلاء الزُّنْدَقَةُ، والزَّنادقة هم الذين كان مقصودهم تبديل دين الإسلام.

وكان أول ظهورهم حين ضعُفت خلافة بني العباس، فتفرَّقت الأمَّة، وظهرت البدع وكان ذلك في أواخر المئة الثالثة من الهجرة.

وفي ظل دولة «بني بويه» ظهر المشهد المنسوب إلى «عليٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بناحية النجف، و«علي» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يكن له قبر هناك، حيث دفن بالكوفة في مكان غير معروف خوفاً عليه من الخوارج أن يسرقوا جثته.

• قال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: «ولم أُورِدْ أحدًا من الخلفاء العبيديين؛ لأن إمامتهم غير صحيحة، لأمر:

منها: أنهم غير قرشيّين. وإنما سمّتهم بالفاطميين جهلة العوام، وإلا فجدهم مجوسي.. ومنها: أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء، ومنهم من أباح الخمر، ومنهم من أمر بالسجود له، والخيرُ منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة، ولا تصح لهم إمامة» (١).

وهذا مشهور من شهادة علماء الأمة من: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النسب، والعامّة وغيرهم.

حتى صنف كثير من العلماء في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، كالقاضي أبي يعلى، وأبي حامد الغزالي، والقاضي الباقلاني وغيرهم.

• ومن مخازيهم وعقائدهم الباطلة:

- ١- محاربة أهل الحديث والسنة، ومنع رواية الحديث النبوي.
- ٢- ينادون بلعن وسبّ الصحابة، ويقولون: من لعن وسبّ فله دينار وأردب.
- ٣- تدريسهم المنطق والطبيعة، ومقالات الفلاسفة بدلاً من التفسير والفقه والحديث.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٩ - ١٠).

٤- انشغلهم بالروحانيات من طريق الكواكب والشياطين.

• وظلّت البلاد المصريّة ما يقارب مئتي سنة، وقد انطفأ فيها نور الإسلام والإيمان، فقد أماتوا السُّنّة وأحيوا البدعة، وأظهروا الرّفص، حتّى قيّض الله تعالى السلطان صلاح الدّين الأيوبي رَحِمَهُ اللهُ، وقضى على خلافتهم المزعومة، وعزل آخر خلفائهم العاضد، وكانوا آخر أربعة عشرًا متخلّفًا لا خليفة.

• وقد ذكر الحافظ ابن كثير عن أحد خلفائهم الحاكم بأمر الله العُبيديّ العجائب والفظائع، وذكر أنه: «كَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا، وَشَيْطَانًا مَرِيدًا، أَخْزَاهُ اللهُ... كَانَتِ الْعَامَةُ تَبْغُضُهُ كَثِيرًا، وَيَكْتُبُونَ لَهُ الْأَوْرَاقَ بِالشِّتِيمَةِ الْبَالِغَةِ لَهُ وَلِأَسْلَافِهِ، فِي صُورَةِ قِصَصٍ، فَإِذَا قَرَأَهَا أَزْدَادُ غِيظًا وَحَنَقًا عَلَيْهِمْ» (١).

وقال أيضًا في أحداث عام ٣٤٧ هـ: «وقد امتلأت البلاد رِفْصًا وَسَبًّا لِلصَّحَابَةِ مِنْ بَنِي بُوَيَّهِ وَبَنِي حَمْدَانَ وَالْفَاطِمِيِّينَ... فَكَثُرَ السَّبُّ وَالتَّكْفِيرُ مِنْهُمْ لِلصَّحَابَةِ» (٢).

• **ومن جرائمهم:** أنهم شنّوا حربًا نفسيّة على أهل السُّنّة، وذلك

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (١٢/ ١١ - ١٢).

(٢) المصدر السابق (١١/ ٢٦٤).

بتعليق رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت، وكتبوا عليها أسماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وطعنوا فيهم، وعملوا على إزالة آثار بعض مَنْ تقدّمهم من الخلفاء من أهل السُّنَّة، ومنعوا التجمعات خوفاً من الخروج عليهم، وأتلفوا مؤلّفات أهل السُّنَّة، ومنعوا الناس من تداولها، وحرّموا على الفقهاء الفتوى إلا لمن كان على مذهبهم، ومنعوا أهل السُّنَّة من التدريس في المساجد، ونشر العلم، والاجتماع بالطلاب، وأجبروا الناس على الدخول في دعوتهم، فمن أجاب تركوه، وربما ولّوه بعض المناصب، وقاموا بتعطيل الشرائع، وأسقطوا الفرائض عمن تبع دعوتهم، وزادوا في الأذان: «حيّ على خير العمل»، وأسقطوا من أذان الفجر: «الصلاة خير من النوم»، ومنعوا الناس من قيام رمضان، وانتهكوا حرمة المساجد بخيل المهدي، وقالوا: إن أرواثها وأبوابها طاهرة لأنها خيل المهدي.

• ذكرت ذلك حتى لا يغترّ بهم أحد من المسلمين، فيفتخر بتاريخهم الأسود، ومن العجب أن ينادي بعض الناس في زماننا بعودة دولة بني عُبيد مرة أخرى، والقاهرة الفاطميّة، وللأسف فإن الأجيال المسلمة اليوم لا تقرأ التاريخ الإسلامي من مصادره الموثوقة، إنما يقرؤون تاريخاً مزوّراً، فيه أنها دولتهم كانت تُحب العلم ونشره، ولم يعلموا أن المقصود هو نُشر كتب الفلاسفة.

• يقول د. علي الصلابي: «وهذا كله نتيجة لغياب التفسير العقدي الإسلامي لتاريخنا، بل إن المؤرخين الذين كتبوا لنا التاريخ تأثروا بمدارس الاستشراق أو بالتفكير الشيعي، أو بُدِّلَتْ لهم أموال لطمس الحقائق التي لا بد من بيانها للأجيال الصاعدة، لتعرف عدوها من صديقتها، ولتعرف أن الأفكار لا تموت، وإنما تتغير الأشكال والوجوه والمسوح، وأن هؤلاء الملاحين من أعداء الإسلام لا يزالون يعملون سرًّا وإعلانًا، ليلاً ونهارًا للقضاء على العقيدة البيضاء الناصعة التي تلقفتها جموع أهل السُّنَّة والجماعة من الحبيب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الغرِّ الميامين الطاهرين الطيبين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين» (١).

• ولا ينسى التاريخ ما فعلته الدولة الصَّفَوِيَّة في إيران أيام الشاه «إسماعيل الصفوي» من بناء المقابر المزعومة وزخرفتها وكسوتها بالحجير، وجعل الحراس والخدم والسدنة، وترتيب أيام لإقامة الاحتفالات والموائد عندها: كيوم عاشوراء وغيره، ولقد حول هذا الخبيث إيران من دولة سُنِّيَّة إلى دولة شيعيَّة رافضة، وأغار على بغداد، وقام بنش قبر الإمام أبي حنيفة النعمان، واستخرج عظامه. ولقد هيا الله تعالى لاقتلاع جذور هذا الرافضي السلطان سليم

(١) الصراع بين أهل السُّنَّة والرافضة، ص (٧٦).

الأول رَحْمَةُ اللَّهِ، حيث قام بإسقاط مُلكِ إسماعيل الصفوي، فهرب خارج البلاد.

ولقد كره الكثير من العلماء الدفن في الفساقى (وهى أشبه بالحجرة التى يدفن فيها أهل مصر موتاهم اليوم)، وذكر ابن الحاج رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ الدفن فى الفساقى بدعة، وذكر على ذلك تسعة عشر وجهًا، فكيف بالدفن فى المساجد والبيوت والميادين العامة ؟!

□ واجب الأمة تجاه هذه البدعة المنكرة:

إن تحذير الأمة من هذه البدع وغيرها واجب باتفاق المسلمين، وإقامة الحجة على إبطالها واجب على العلماء والعامة، والمعيّار الحقيقى لمعرفة قيمة الإسلام فى قلوب المسلمين هو موقفهم من إنكار المنكر والأمر بالمعروف والتحذير من أهل البدع والإنكار عليهم.

• قال أبو الوفا ابن عقيل رَحْمَةُ اللَّهِ: « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إِلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَحِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا أَنْظُرْ إِلَى مُوَاطَّاتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ، عَاشَ ابْنُ الرَّائِدِيِّ وَالْمَعَرِّيُّ عَلَيْهِمَا لَعْنُ اللَّهِ يَنْظُمُونَ وَيَشْتَرُونَ، هَذَا يَقُولُ: حَدِيثُ خُرَافَةٍ وَالْمَعَرِّيُّ يَقُولُ:

تَلَّوْا بِاطِلًا وَجَلَّوْا صَارِمًا ... وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْنَا نَعَمْ
يَعْنِي بِالْبَاطِلِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَاشُوا سِنِينَ، وَعُظِّمَتْ قُبُورُهُمْ
وَاشْتُرِيَتْ تَصَانِيفُهُمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُرُودَةِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ «(١)».

وهذا كلام عظيم، فإن من أعظم المصائب السكوت على المنكر،
واسترضاء أهل البدع، فهذه من أسباب العقوبات، ومن موجبات
سخط الله عَزَّوَجَلَّ.

لا يكفي أن تكون صالحاً، فالله عَزَّوَجَلَّ يهلك القرى وفيها الصالحون،
ولكن إذا تعدَّى صلاحك إلى إصلاح غيرك، فإن سُنَّةَ الله تعالى أنه لا
يهلك القرى وأهلها مصلحون.

• وفي حديث السفينة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ
اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا
وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ
فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذُّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأَسَا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَاتَّوْهُ فَقَالُوا:
مَا لَكَ، قَالَ: تَأَذِّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ
وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكَوْهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ } (٢).

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح (١/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الشهادات، ب: القرعة في المشكلات، ح (٢٦٨٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَيُّ دِينٍ وَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَنْ يَرَى مُحَارِمَ اللهِ تُنْتَهَكُ وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْغَب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بليَّةُ الدِّينِ إلا من هؤلاء الذي إذا سَلِمَتْ لهم مأكُلهم ورياساتهم فلا مُبالاة بما جرى على الدِّين؟ وخيارهم المتحرِّضُ المتلمِّظ، ولو نُوزِع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذُّل وجدَّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسع. وهؤلاء - مع سقوطهم من عين الله ومَقَّتِ اللهُ لهم - قد بُلُوا في الدنيا بأعظم بليَّة تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل» (١).

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٢١).

■ السُّنَّةُ وَفَضْلُ اتِّبَاعِهَا :

• قال الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيعَ» (١).

وقال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمْ أَكُنْ أَدْعُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ» (٢).

وعن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ، خَطَبَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا، وَلَمْ يُنْزَلْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَمَا أَحَلَّ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ، وَلَكِنِّي مُنْفَذٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْكُمْ، غَيْرَ أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَلَا هَلْ أَسَمِعْتُ؟؟» (٣).

(١) أخرجه البخاري: ك: فرض الخمس (٣٠٩٣)، ومسلم: ك: الجهاد والسير، ب: قول النبي «لا نورث ما تركناه صدقة»، ح (١٧٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١٣٩)، وقال المحقق: صحيح لغيره، وأبو يعلى في مسنده (٤٣٤).

(٣) أخرجه الدرامي: ك: العلم، ب: ما يتلقى من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٤٧)، وقال المحقق: إسناده جيد.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَكْثَرَ مِنْ رَكَعَتَيْنِ يُكْثِرُ فِيهَا الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ فَنَهَاهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ يُعَذِّبُنِي اللَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ يُعَذِّبُكَ عَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ» (١).

فعليك أخي الحبيب بالأمر الأول قبل أن تحدث الفقرة ويدب الخلاف، واصبر نفسك مع السُّنَّة، واسلك سبيلها فإنها تسع لنجاتك من عَرَصات يوم القيامة.

وذلك لأن البدعة في الدين مما تضاهي الشريعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، لأن المبتدع يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله، زُين له سوء عمله فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً، وأول التوبة العلم بأن الفعل مخالف وسيئ ليتوب منه.

فالبدع هي أقرب للشقاق والنزاع، وإلى الكفر والنفاق.

• قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ: «واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغترَّ بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان به فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤١٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧٥٥).

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلم به أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أحد من العلماء؟، فإن وجدت فيه أثراً عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختبر عليه شيئاً فتسقط في النار.

واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين؛ أما أحدهما: فرجل زلَّ عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقْتَدَى بِزَلَّتِهِ، فإنه هالك، وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضالٌّ مضلٌّ، شيطان مرید في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يحذّر الناس منه، ويبين لهم قصته؛ لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك.

واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعاً مصداً مسلماً، فمن زعم أنه بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفونا أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كذبهم، وكفى به فرقة وطعناً عليهم، وهو مبتدع ضالٌّ مضلٌّ، محدث في الإسلام ما ليس منه» (١).

• وقال الشيخ ملا أحمد رومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أحدث شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى من قول أو فعل، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، فعلم أن كل بدعة ضمن العبادات الدنيئة لا تكون إلا سيئة» (٢).

(١) شرح السُّنَّة، للبرهاري، ص (٣٧ - ٣٩).

(٢) الإبداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ، ص (٣٠).

• والبدعة مشتقة من الابتداع، وهو: كل شيء أحدث على غير مثال سابق، سواء كان محمودًا أو مذمومًا، يقول ابن منظور: بَدَعَ الشَّيْءُ يُبَدِّعُهُ، وَابْتَدَعَهُ أَنْشَأَهُ وَبَدَأَهُ (١).

والبديع: من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، كما قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧].

وفي الشرع: البدعة هي: كل ما حدث بعد عصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من السُّنَّةِ التشريعية) فهو بدعة، سواء كانت محمودة أم مذمومة. قال ذلك الشافعي، والعزُّ بين عبد السلام رحمهما الله، وقد سبق ذكر لذلك.

■ ومن أسباب انتشار البدع:

- ١- جهلُ الناس بحقيقة الإسلام، وبعدهم عن سُنَّةِ نبيِّهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأمر الذي يجعلهم لا يفرِّقون بين السُّنَّةِ والبدعة.
- ٢- عمل العالم بالبدعة، وتقليد الناس له، وسكوت العلماء عنها، خاصة وإن تقلد هذا العالم المناصب الدِّينية العامة العالية الرفيعة.
- ٣- تبني الحكام للبدع، ومساعدتهم لأصحابها لتحقيق مصالحهم

كما يزعمون.

- ٤- موافقة البدع لأهواء بعض الناس ورغباتهم مع غياب الرادع عليها.
- ٥- الرغبة في تحقيق مكاسب ومنافع دنيوية ومادية أو شهرة وراء التمسك بالبدع.
- ٦- تقليد العامة للأباء والأجداد، وخاصة هؤلاء الذين ينتسبون إلى الطرق والجماعات المتعددة.
- ٧- عزل الدين عن الدنيا، والإسلام عن السياسة، والمناداة بالمدينة تارة، والعلمانية أخرى، والحداثة ثالثة وغيرها.
- ٨- التشبه باليهودي والنصراني، وخاصة بعد أن ازدهرت حضارتهم المادية، وافتن بها كثير من الناس.
- ٩- وقوع الفرق والاختلاف في الأمة حتى قاربت هذه الفرق الثلاثة والسبعين، كما أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.
- ١٠- طلب العلم لغير الآخرة، لمهارة العلماء، أو مجارة السفهاء، وطلب الدنيا بالدين، واختلاط الأعمال الصالحة بالرياء.
- ١١- غياب التوعية والتربية الإسلامية، وندرة الأسوة الحسنة من العاملين بالكتاب والسنة من العلماء الربانيين.

■ حكم البدعة: البدعة لها درجات:

- ١- منها ما هو كفر متفق عليه، كبدعة المنافقين في اتخاذ الدين ذريعة لحفظ المال والنفس.
- ٢- ومنها ما هو كفر مختلف فيه، كبدع الخوارج والقدريّة.
- ٣- ومنها ما هو معصية، كبدعة التبتل.
- ٤- منها ما هو مكروه كراهة تحريم: كالاتّباع للدعاء عشية عرفة في غير عرفة.

■ **عقوبتها:** تختلف باختلاف البدعة: فتارة تكون بالقتل تعزيزًا ولإفساده في الأرض، وأخرى ما دونه من ضرب وإهانة ونفي وتغريم وغيره. ويستحب مقاطعة أهل البدع وهجرهم بعد إقامة الحجة عليهم والبرهان.

• **والبدعة تضاهي السُّنة، والسُّنة لغة:** هي الطريقة.

واصطلاحًا: ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره، ما هم بفعله.

والسُّنة: هي حصن الله الحصين الذي دخله كان من الآمنين من الشبهات والاختلافات وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد

وهده وصاحب السُّنة: مستنير القلب، عقل عن الله وأذن وفهم عنه، وانقاد لدينه، وتابع ما بعث به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصاحب السُّنة: مدخله نور، ومخرجه نور، وقوله نور، وعمله نور، ويوم القيامة يسعى بين يديه وعن يمينه النور، ووحيه نور، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ويُشرق النور من وجهه، ويمشي في الدنيا والنور كالسراج المضيء في الظلمة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والله عزَّ وجلَّ الذي شرع له السُّنة وأرسل بها رسوله اسمه: النور، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار كرامته ورحمته نورًا يتلأأ. وبنوره اهتدى أهل السموات والأرض.

والنور في قلب عبده المؤمن كنور المشكاة في المصباح.

• والخارجون عن طاعة الرسل ومتابعيهم، القابعون تحت مظلة البدع والهوى يتقلبون في عشر ظلمات:

- ١- ظلمة الطبع.
- ٢- ظلمة الجهل.
- ٣- ظلمة الهوى.
- ٤- ظلمة القول.
- ٥- ظلمة العمل.
- ٦- ظلمة المدخل.

٧- ظلمة المخرج. ٨- ظلمة القبر. ٩- ظلمة القيامة.

١٠- وظلمة دار القرار.

فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاث (الدنيا والبرزخ والآخرة).

• والناس من حيث تمسكهم بالسُّنة أربعة أقسام فانظر نفسك في أي قسم منهم:

الأول: قبلوها ظاهراً وباطناً، سرّاً وعلانية، يعتزُّون بها ويفتخرون، وبها يتميزُّون وهم: أهل الفقه والفهم والعلم.

الثاني: مَنْ رَدَّها ظاهراً وباطناً، وكَفَر بها وجحد وأنكر بعضها أو كلها حمله على ذلك: الحسد والكبر وحُبُّ الرئاسة والملك، واتِّباع السادة والكبراء، وهم الكفار.

الثالث: قبلوها ظاهراً وجحدوا وكفروا بها باطناً وهم المنافقون.

الرابع: يكتمون التمسك بها باطناً، ويخشون ظهورها، وهؤلاء: إن كان ذلك من أهل دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها ففيه فسوق وعصيان، وإن كان من أجل اضطرار أو خوف من بطش جبار فأمره إلى الواحد القهار، إن شاء عفا عنه وقبل منه، وإن شاء عاقبه، ومردود ذلك إلى نيته وعمله وسلوكه.

وفي الختام:

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ، الْبَرَّ الرَّحِيمَ أَنْ يَهْدِينَا إِلَى مَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، إِنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران].

« اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

هذا وإن كان ما فيه من صواب وابتغاء مَرْضَاةِ اللَّهِ والثواب فمن اللَّهِ وَحْدَهُ التَّوْفِيقُ، وإن كان فيه عيب أو نقص أو خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

والحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله وربنا المحمود

في اليوم العاشر من شهر صفر لعام ١٤٣٨ هـ، من هجرة سيد الأنام

محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



مصادر البحث

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- تفسير ابن كثير، والقرطبي والسعدي.
- ٣- كتب السنة.
- ٤- تلبس إبلس، لابن الجوزي.
- ٥- شفاء الصدور، لمرعي يوسف.
- ٦- البداية والنهاية لابن كثير.
- ٧- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
- ٨- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.
- ٩- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.
- ١٠- إغاثة اللهفان لابن القيم.
- ١١- الاعتصام للشاطبي.
- ١٢- تحذير الساجد للألباني.
- ١٣- أحكام الجنائز للألباني.
- ١٤- الزواجر للهيتمي.
- ١٥- جريدة الأخبار المصرية.

- ١٦- سِجَلَات دار الإفتاء المصريّة.
- ١٧- الإبداع في مَضَارِّ الابتداع، على محفوظ.
- ١٨- تطهير الاعتقاد للصنعاني.
- ١٩- مجموع الفتاوى لابن تيمية.
- ٢٠- الآداب الشرعيّة لابن مفلح.
- ٢١- اجتماع الجيوش الإسلاميّة، لابن القيم.
- ٢٢- كتب للمؤلف.
- ٢٣- كتب الشيخ / السيد عبد المقصود، وقد نقلت واستفدت منها كثيراً في هذه الرسالة، ومنها:
 - أ- القول المنضود من بدعة تحريّ الدعاء عند القبور.
 - ب- الاستعاذة بالغفور من بدعة بناء المساجد والقباب على القبور.
 - ج- رفع الستور من بدعتي النَّذر والذَّبْح للمقبور.
 - د- تحذير المسلم الغيور من بدعتي التمسُّح وتقبيل القبور.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
وقفة.....	٣
المقدمة.....	٥
البداية.....	١١
فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال؟.....	١٤
وبالحقِّ أنزلناه وبالحقِّ نزل.....	٢١
من تشبَّه بقوم فهو منهم.....	٢٣
لماذا نهى الإسلام عن موالة الكفار.....	٢٥
الاستبدال في العقيدة والتوحيد.....	٢٩
خطورة الشُّرك.....	٣٧
أقسام الشُّرك.....	٣٩
١- شُرْك النسب.....	٣٩
٢- شُرْك العبادة.....	٤٠
٣- شُرْك المحبة.....	٤١
لماذا نحبُّ الله تعالى حُبًّا معظَّمًا.....	٤٢
٤- شُرْك التشريع والتحزب.....	٤٩

- ٥- شَرَكُ الدعاء..... ٥٠
- الأدلة من القرآن الكريم..... ٥١
- الدعاء هو العبادة..... ٩٦
- الدعاء عند القبور..... ٩٧
- مقصود الزيارة الشرعية..... ١٠٠
- شبهة والرد عليها باثني عشر دليلاً..... ١٠٥
- تقبيل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحجر الأسود..... ١٠٩
- التمسُّح بالقبور وتقبيلها..... ١١١
- التبرُّك في اللغة والشرع..... ١١٩
- الدَّبْح والنَّذر عند القبور..... ١٢٣
- بدعة كسوة القبور..... ١٣٥
- حكم الذبح عند القبور..... ١٤٩
- الزيارة وشدُّ الرِّحال إلى مساجد وأضرحة الأولياء والصالحين.... ١٥١
- هدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الدفن..... ١٥٩
- مخاذير بناء المساجد على القبور..... ١٦٨
- شُبْهة قبر النبي في مسجده والرد عليها..... ١٧٢

- شُبُهَة أصحاب الكهف والرد عليها..... ١٧٦
- صور اتخاذ القبور مساجد..... ١٧٩
- من مظاهر تعظيم القبور في المساجد والمشاهد عليها..... ١٨٠
- حرمة الدفن في المساجد ودلائل ذلك..... ١٨٥
- متى ظهرت بدعة الدفن في المساجد في الأُمَّة..... ١٨٨
- واجب الأُمَّة تجاه هذه البدعة المنكرة..... ١٩٣
- السُّنَّة وفضل اتِّباعها..... ١٩٦
- من أسباب انتشار البدع..... ١٩٩
- حكم البدعة..... ٢٠١
- ظلمات أهل البدع العشر..... ٢٠٢
- أقسام الناس من حيث تمسُّكهم بالسُّنَّة..... ٢٠٣
- مصادر البحث..... ٢٠٥
- فهرس المحتويات..... ٢٠٧